في نحو القرآن والقراءات

دكتور/ موسى مصطفى العبيدان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً وحفظه من عبث العابثين ولغط اللاغطين وجعله نبراساً تهوي إليه أفئدة العلماء والمتعلمين والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مافتيء القرآن مصدار لعلوم اللغة منه اشتقت ، وبه تأثرت ، ولخدمته سخرت.

وتتجلى مظاهر إهتمام النحو والنحاة بالقرآن الكريم في إعرابه وتوجيه قراءاته والإستشهاد به في مجال تقعيد القاعدة النحوية.

غير أن النحويين وخاصة المتقدمين لم يجعلوا آيات القرآن مصدراً لكل قواعدهم النحوية بل نجدهم في كثير من المواطن يحفلون بالقياس ويردون الآيات التي تعارض أقيستهم ويؤولونها بتأويلات شتى وكان من الأجدر أن تؤخذ الآية قاعدة ويعاد النظر في القياس الذي عارضها.

ومن هذه النظرة في النحو والقرآن نبعت فكرة هذا البحث الذي عنوانه :

((في نحو القرآن والقراءات))

وهو يدور في خمسة أبواب وخاتمة وأخيراً الفهارس.

الباب الأول : (وعنوانه إعراب القرآن واختلاف توجيهه) وقسمته الى فصلين :

الفصل الأول : (الكتب التي تعرضت لإعراب القرآن) وفيه تتبعت بعض الكتب التي تناولت القرآن الكريم بالإعراب تتبعا تاريخياً وذيلت الفصل بعرض كتاب (إملاء ما من به الرحمن) للعكبري فبينت منهجه في تأليف كتابه.

الفصل الثاني : (أسباب اختلاف التوجيه الإعرابي) وفيه تتبعت الأسباب التي نتج عنها تعدد التوجيه الإعرابي للآيات.

الباب الثاني : وعنوانه (القراءات وحديث الأحرف السبعة) ويشمل هذا الباب فصلين :

الفصل الأول : (علم القراءات وتطوره) وفيه تتبعت نمو علم القراءات وتطوره منذ نشأته إلى أن صار علماً مكتملا له فنونه ومذاهبه وأعلامه وكتبه.

الفصل الثاني : (إختلاف الآراء في تفسير الأحرف السبعة) وفي هذا الفصل ذكرت الآراء التي طرحت لتفسير حديث الأحرف السبعة وكان لي مع كل رأي وقفة خاصة.

الباب الثالث : وعنوانه (أصول قراءات القراء السبعة) وفيه عرضت أصول القراء السبعة في الإمالة والإدغام وهاء الكناية وفي المد والقصر والهمز ، وربطت بعض هذه المباحث بعلم الصرف.

الباب الرابع : وعنوانه (موقف النحويين من القراءات) وجعلت هذا الباب يدور في فصلين :

الفصل الأول : (ذكر القراءات التي ردها بعض النحويين) وفي هذا الفصل عرضت موقف بعض المعاصرين الذين تعرضوا لمدرستي البصرة والكوفة في مجال استشهادها بالقراءات القرآنية على القاعدة النحوية إذ حاول كل فريق أن يلصق تهمة رد القراءة بمدرسة دون أخرى وتبّين لي أن ما ذهبوا إليه غير صواب إذ إن كلتا المدرستين ردت قراءات معينة وسردت بعضاً من هذه القراءات التي ردها هؤلاء النحاة.

الفصل الثاني : (أسباب رد القراءات) وفيه حاولت تتبع بعض الأسباب التي أدت بالنحاة إلى رد القراءة القرآنية وعدم الاستشهاد بها عند تقعيد القاعدة النحوية.

الباب الخامس : وعنوانه (توجيه بعض القراءات السبعية) وفي هذا الباب اخترت بعضاً من القراءات التي اختلفت قراءتها من قارىء لاخر وتوجيه هذه القراءات توجيها نحويا متتبعا أقوال من وجهها من النحاة مقارنا بين هذه الأقوال ومرجحا بينها.

الخاتمة : وفيها سردتُ النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه إذ الهدف من ذلك خدمة القرآن الكريم الذي هو دستور الله الدائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وحسبي أني اجتهدت.

الدكتور / **موسى العبيدان**

الباب الأول

كتب إعراب القرآن واختلاف توجيهه

الفصل الأول : الكتب التي تعرضت لإعراب القرآن

الفصل الثاني : أسباب اختلاف التوجيه الإعرابي

يعرف الإعراب بأنه "الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها"(١) فالإعراب على هذا التعريف ليس مجرد وسيلة يوائم بها المتكلم بين الوقف والإدراج في حديثه كما يرى قطرب. يقول : "إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل وكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ، ليعتدل الكلام"(٢) وقد فات على قطرب أمر وهو : اختلاف الحركات بين الضمة والفتحة والكسرة أو ماتسمى (بالحركات الأصلية) وإلى جانب هذه الحركات الأصلية وجود الحركات الفرعية وهي الواو والألف والياء فلو كان الإعراب وسيلة يتوصل بها المتكلم للنطق لكفته حركة واحدة ولكن لما كانت متعددة ومتنوعة دلت على أن وجودها ليس مجرد الاستعانة بها على النطق بل جاءت لأمر آخر وهو التفريق بين المعاني إذ "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليه ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني"(٣).

ولما كان الإعراب هو الوسيلة للتفريق بين المعاني وفهمها اتجه كثير من العلماء - مَنْ كان له اشتغال بالنحو أو متصل به سبب - إلى القرآن الكريم لبيان أوجه معانيه

---

(١) شرح المفصل ، لابن يعيش ج١ ص ٧٢٠

(٢) الإيضاح في علل النحو ، للزجاجي ص ٧٠

(٣) المرجع السابق ص ٦٩

فمنهم من تناوله جميعا ومنهم اقتصر على مايراه ضروريا ، ومنهم من يستقصى الأوجه الإعرابية في الكلمة القرآنية ، ومنهم من يقتصر على المشهور والذائع. وقد يقع بينهم الاختلاف في إثبات وجه إعرابي أو نفيه وقد وقع فعلا ولكن لما كان لهذا الاختلاف أسبابٌ فإنا سنذكرها بعد الحديث عن الكتب التي تعرضت لذكر إعراب القرآن الكريم.

الفصل الأول

الكتب التي تعرضت لإعراب القرآن

إن هذا القرآن الذي أنزله الله ليكون للعالمين منهجاً فليس غريباً أن يلقى من أتباعه كل عناية فقد روى عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : "لأن أعرب آية من القرآن أحب إلي من أن أحفظ آية"(١) وروى أيضاً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : "تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه"(٢) وقال ابن مسعود رضى الله عنه أيضا : " أعربوا القرآن فإنه عربي"(٣) ويستوقفنا من أقوالهم رضى الله عنهم - حديثهم عن إعراب القرآن فهل أرادوا بذلك المعنى الاصطلاحي لكلمة إعراب ؟ إنهم - طبعا - لم يريدوا ذلك لسبب وهو أن علم النحو لم يكن معروفا بعد ، فيكف يراد شيء غير معروف لديهم؟ ونحن نعلم أن علم النحو تأخرت نشأته عن زمن أبي بكر وعمر وابن مسعود ، ولعل مرادهم من ذلك الإبانة عن معانيه والإفصاح عنها. فهم لم يعدوا في أقوالهم السابقة المعنى اللغوي لكلمة (إعراب) وهو الإظهار والإبانة عما في النفس.

ولكن متى ظهر إعراب القرآن بالمعنى الاصطلاحي؟

يذهب بعض الباحثين إلى أن عمل أبي الأسود الدؤلي في نقط القرآن وتشكيله "إعراب مرحلي للقرآن الكريم" ، إذ ليس الإعراب بمعناه الاصطلاحي إلا مانعا من اللحن وما نقط القرآن وتشكيله إلا تحصين له من اللحن"(٤) وهذا القول فيه مجانية للصواب إذ إن إعراب القرآن بمعناه الاصطلاحي لايستقيم

---

(١) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، ص ٣١٨

(٢) المرجع السابق ص ٣١٩

(٣) المرجع السابق ص ٣١٨

(٤) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، محمد سمير نجيب الليدي ص ٢٩١

لمرتاده إلا لمن عرف علم النحو أصولا وقواعد وعلم النحو في زمن أبي الأسود الدؤلي وليد لايزال في مهده ولكن عمل أبي الأسود الدؤلي لم يعد كونه تقييد المنطوق القرآني بواسطة النقط.

والذي نعتقده في هذه المسألة أن تناول القرآن الكريم بالإعراب لايخلو من دوافع مهدت له أهمها تفشي اللحن على الألسن حتى إنه لم ينج منه بلغاؤهم وخطباؤهم بل تطرق الأمر إلى اللحن في قراءة القرآن فقد لحن الحجاج في قوله تعالى : (قل إنْ كان آباؤكُمْ وَأبْنَاؤكم(١) إلى قوله تعالى (أحبّ) فكان يقرأ بضم (أحبّ) والوجه أن تقرأ بالنصب خبرا لكان بالرفع(٢) فإذا كان تفشي اللحن هو الباعث على نشأة علم النحو فهو كذلك الباعث أيضا على تناول القرآن بالإعراب إذ القصد من إعرابه هو بيان موقع الكلمة من الآية وتوضيح علاقاتها بغيرها من الكلمات السابقة واللاحقة لرد الألسن المنحرفة إلى جادة الصواب ولكنّ إعراب القرآن لم يحدث إلا بعد أن استتب لعلم النحو أصوله وقواعده على يد علمائه كابن أبي إسحاق الحضرمي ت ١١٧هـ وتلميذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ، وتلميذي عيسى ، الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب . وعلى يد من جاء بعدهم كسيبويه والكسائي والفراء ، والمبرد وغيرهم.

ولعلنا قبل ذكر الذين ألفوا في إعراب القرآن ننبه إلى عنوان يشيع استخدامه بين العلماء المتقدمين وهو (معاني القرآن) وهذا العنوان يوقع الباحث في حيرة من

---

(١) سورة التوبة آية ٢٤

(٢) طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص ٢٢

أمره فهل هي كتب تتناول إعراب القرآن وحده ؟ أم تتناول المعنى دون أن تتعرض للإعراب؟ أم أنها تلم به بجانب المعنى؟ ومن الكتب التي بين أيدينا والتي تحمل هذا العنوان كتاب (معاني القرآن) للفراء وكتاب (معاني القرآن) للأخفش فهذان الكتابان مع أنهما يحملان عنوان (معاني القرآن) غير أن مادتهما تدور حول إعرابه. ولكن يصعب القطع بأن الكتب التي جاءت بعدهما تسير على نفس الطريق أي أن مادتهما تتناول إعراب القرآن ومما يقوي هذا الشك أن النحاس (ت٣٣٧هـ) يؤلف كتابين أحدهما أسماه (معاني القرآن)(١) والثاني (إعراب القرآن) وهذا يدل على أنّ العنوانين ليسا بمعنى واحد ومن يدري لعل ممن إستخدم هذا العنوان (معاني القرآن) قصد مقصد النحاس ونظر لهذا الشك وعدم القطع بأن الكتب التي تحمل معاني القرآن هي في إعراب القرآن فإننا نستبعد ذكرها عند التقصي التاريخي للكتب التي ألفت في إعراب القرآن ولا نذكر منها إلا مانحن على يقين من مادته وأعني بذلك كتابي الفراء والأخفش لوجودهما بين أيدينا. ولكن هذا لايمنع أن نذكر أن أول من ألف في هذا العنوان هو واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)(٢) ولأبان ابن تغلب(١٤١هـ)(٣) كتاب (معاني القرآن) وكذلك كتاب (معاني القرآن)(٤) لأبي جعفر الرؤاسي (ت ١٧٥هـ) وهذه الكتب تعد في عداد المفقودات.

---

(١) معجم الأدباء ، لياقوت ٤ هـ ٢٢٨ / كشف الظنون. حاجي خليفة ٢ جـ ، ١٧٣

(٢) معجم الأدباء لياقوت ٢٤٧/١٩

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٨

(٤) الفهرست لابن النديم ، ص /٥١ معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٢٥ / كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٣

أما فيما يتعلق بإعراب القرآن فقد ألف فيه كثير من العلماء وأول من استخدم هذا العنوان وجعله علما على كتابه هو علي بن المستنير (٢٠٦هـ. المعروف بقطرب. ثم أبو عبيدة معمر ابن المثنى (ت ٢١٠هـ) ثم توالى التأليف تحت هذا العنوان . ولعل من تمام الموضوع أن نذكر ثبتا تاريخيا لبعض أسماء الكتب التي ألفت في هذا البحث مع ذكر أسماء مؤلفيها. (إعراب القرآن) لقطرب (ت ٢٠٦هـ)(١). (إعراب القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)(٢). (إعراب القرآن) للأخفش سعيد بن مسعده (ت ٢١٥هـ)(٣) . (إعراب القرآن) لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ)(٤) . (إعرب القرآن) لأبي حاتم السجستاني (٢٥٠هـ)(٥) . (إعراب القرآن) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)(٦) . (إعراب القرآن) للمبرد محمد بن يزيد(ت ٢٨٥هـ)(٧) . (إعراب القرآن) لثعلب أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ)(٨) . (إعراب القرآن ومعانيه) المنسوب

---

(١) معجم الأدباء ، لياقوت جـ ١٩ ص ٥٣

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى جـ١ ص ١٨

(٣) أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون ص١٣٥ / ملاحظة لعل هذا الكتاب هو كتاب (معاني القرآن) المطبوع للأخفش.

(٤) إنباه الرواة جـ٢ ص ٢٠٦ / كشف الظنون ١٢٣/١

(٥) معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٦٥ / كشف الظنون ١٢٣/١

(٦) الفهرست لابن النديم ص ١١٦ / إنباه الرواة جـ٢ ص ١٤٦

(٧) معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١٢١ / إنباه الرواة جـ ٣ ص ٢٥١ / كشف الظنون ١٢٣/١

(٨) معجم الأدباء جـ ١٩ ص / ١٢١ كشف الظنون ١٢٣/١

للزجاج (ت ٣١١هـ)(١) - (إعـــراب القـــــرآن) لنفطويه إبراهيم بن محمد بن عرفة (ت ٣٢٣هـ)(٢) - (إعراب القرآن) للنحاس (ت ٣٣٧)(٣) - (رياضة الألسنة في إعراب القرآن ومعانيه) لمحمد بن اشنة الأنصاري (ت ٣٦٠هـ)(٤) (إعراب ثلاثين سورة من القرآن) لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)(٥) - (غريب إعراب القرآن) لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)(٦) - (إعراب غريب القرآن) لعلي بن طلحة بن كروان (ت ٤٢٤هـ)(٧) - (البيان في إعراب القرآن) لأحمد بن محمد الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ)(٨) - (إعراب القرآن) لعلي بن إبراهيم الحوفي (ت ٤٣٠هـ)(٩) - (مشكل إعراب القرآن) لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)(١٠) - (إعراب القرآن) لأبي طاهر إسماعيل بن خلف الصقلي (ت ٤٥٥هـ)(١١) - (إعـــراب القـــــرآن) ليحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ)(١٢)

---

(١) مطبوع بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري.

(٢) بغية الوعاة جـ ١ ص ٢٩١

(٣) مطبوع بتحقيق زهير غازي زاهد.

(٤) الفهرست ص ٥٢

(٥) مطبوع بتحقيق . عبد الرحيم محمود.

(٦) نزهه الألباء ص ٣٢١ / معجم الأدباء جـ ٤ ص ٨٤

(٧) معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٢٥٩ / إنباه الرواه جـ ٢ ص ٣٨٤

(٨) طبقات المفسرين للدواري جـ ١ ص ٧٨

(٩) إنباه الرواة جـ ٢ ص ٢٢ / كشف الظنون ١٢٢/١

(١٠) مطبوع بتحقيق ياسين محمد السواس.

(١١) معجم الأدباء جـ ٦ ص ١٦٦ / كشف الظنون ١٢٣/١

(١٢) معجم الأدباء جـ ٢ ص ٢٧-٢٨ / كشف الظنون ١٢٣/١

(إعراب القرآن) لإسماعيل بن محمد الأصفهاني (ت ٥٣٥هـ)(١) - (البيان في غريب إعراب القرآن) لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)(٢) - (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن) لابي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)(٣) - (إعراب القرآن) لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ)(٤) - (الفريد في إعراب القرآن المجيد) لمنتخب الدين حسين بن أبي عبد العزيز الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)(٥) - (المجيد في إعراب القرآن المجيد) للصفاقسي (ت ٧٤٢هـ)(٦) - (المجيد في إعراب القرآن المجيد) للحسن ابن قاسم بن عبد الله (ت ٧٤٩هـ)(٧) - (الدر المصون في علم الكتاب المكنون) لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين (ت ٧٥٦هـ)(٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه الكتب التي ذكرناها آنفا قد سقط من أيدي الزمن وبعضها لايزال موجوداً وقد حقق منها ما حقق.

---

(١) طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٨ / كشف الظنون ١٢٣/١

(٢) مطبوع بتحقيق طه عبد الحميد طه.

(٣) مطبوع ، من منشورات دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) كشف الظنون ١٢٣/١

(٥) كشف الظنون ١٢٣/١

(٦) مخطوط في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض

(٧) غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢٢٧/١

(٨) مخطوط في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض

ولعل من المفيد أن نقف عند كتاب (إملاء ما من به الرحمن) لأبي البقاء العكبري والسبب في إختياري لهذا الكتاب هو أن معظم الكتب السابقة عليه وقف عندها كثير من الباحثين بشيء من التفصيل مما لايدع زيادة لمزيد ومن هؤلاء الباحثين معيض بن مساعد العوفي فقد درس في كتابه (قضايا الجملة الخبرية)(١) خمسة من هذه الكتب وهي (معاني القرآن) للفراء وكتاب (معاني القرآن) للأخفش وكتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج وكتاب (إعراب القرآن) للنحاس وكتاب (إعراب ثلاثين سورة من القرآن) لابن خالويه ، وقد استغرق عرضه بهذه الكتب فيما يقارب خمسين صفحة من صفحة (٤٦ ص) الى (٩٦ ص). وقد عقد عبد العزيز السير في بحثه (إعراب القرآن بين النحاس ومكي وابن الأنباري)(٢) الباب الثاني من بحثه لدراسة منهج الأعلام الثلاثة في كتبهم فجعل الفصل الأول من الباب الثاني لدراسة منهج النحاس والفصل الثاني لدراسة منهج مكي بن أبي طالب والفصل الثالث لدراسة منهج ابن الأنباري واستغرق ذلك كله ٣٩ صفحة من ١١٦ إلى ١٥٥ ، أما هذا الكتاب الذي سنعرضه قلما وقف عنده الباحثون وقد عرضه عبد العال سالم مكرم عرضا موجزا في كتابه (القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية)(٣) . وعرضه أحمد سليمان ياقوت أيضا بشيء من الإيجاز (٤)

---

(١) رسالة مقدمة لدرجة الدكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة (مطبوع).

(٢) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير . جامعة الأمام محمد بن سعود (لم يطبع).

(٣) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية انظر صفحة ٢٩٠ - ٢٩٤ صفحة ٣٠٠ - ٣٠٢

(٤) ظاهرة الإعراب في النحو العربي ، انظر صفحة ٢٤٦ - ٢٤٩

وهذا الإيجاز الذي يتسم به عرض عبد العال وياقوت كان على حساب المنهج الذي نهجه أبو البقاء العكبري في كتابه.

- كتاب : (إملاءما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن) لإبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٥٢٨-٦١٦هـ) - حرص العكبري على أن يكون كتابه صغيرا حجمه ، كثيرا علمه ، كما أشار هو إلى ذلك في مقدمة الكتاب(١) وقد نبّه أيضا إلى أن منهجه في تأليفه كتابه هو الاقتصار على ذكر الإعراب ووجوه القراءات(٢) - المنهج الذي ذكره العكبري التزم به غير أنه لم يقتصر عليه وهذا ماسنعرفه عند استعراضنا لكتابه.

- منهج العكبري في الكتاب :

١ - التزم ترتيب السور التي في المصحف،كما أنه التزم بأسمائها إلافي ثماني سور وهي (غافر) و (فصلت) و (القلم) و (النبأ) و (البينة) و (الهمزة) و (الماعون) و (المسد) فاستعمل الأسماء الآتية على الترتيب (المؤمن) و (حم السجدة) و (ن) و (التسائل) و (البرية) و (الحطمة) و (الماعون) و (تبّت) ويتناول العكبري معظم آيات السورة بالإعراب إلاالقليل منها كما أنه لايتناول جميع كلمات الآيات بالإعراب بل

---

(١) إملاء مامن به الرحمن جـ١/ ٣

(٢) المرجع السابق جـ١/ ٣

يعرب بعضها ويترك بعضها فمثلا قوله تعالى : (ذلك بِأنّهم قَالُوا لَنْ تَمسّنَا النّارُ إلا أيّاما معدودات وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون)(١) فلم يعرب من الآية إلا الكلمات الآتية (ذلك) و (بأنهم قالوا)(٢).

٢ - لايكتفي العكبري في إعراب الكلمة بوجه واحد بل يذكر الأوجه المحتملة إن أمكن ذلك ، ولذلك تتعدد الأوجه الإعرابية في الكلمة الواحدة ، فمثلا في قوله تعالى : (وكُلُوا مما رَزَقَكُم الله حلالاً..)(٣) قال : قوله تعالى "حلالا" منه ثلاثة أوجه : أحدها هو مفعول "كلوا" والوجه الثاني أن يكون حالاً من "ما" لأنها بمعنى الذي .. والثالث أن يكون صفة لمصدر محذوف أي أكلا حلالاً..)(٤) وقد يذكر بعض الأوجه الإعرابية ولكن لاينسبها إلى قائلها صراحة بل يكتفي بكلمة "وقيل" ففي (قوله تعالى : "كنتم خير أمّةٍ(٥) قيل كنتم في علمي ، وقيل هو بمعنى "صرتم" وقيل "كان" زائدة والتقدير : أنتم خير)(٦) وقد ينسب الأوجه الإعرابية إلى قائلها وقد يقبل بعضها ويُخَطّيء أو يضعف بعضها مثل (قوله تعالى : قل اللهم "الميم المشددة عوض من ياء وقال الفراء : الأصل يا الله آمنا ، وهو مذهب ضعيف)(٧) - وقال: (قوله تعالى "فإن تولوا" ويجوز أن يكون اللفظ ماضيا،

---

(١) آل عمران ٢٤

(٢) إملاء مامن الرحمن جـ١/١٢٩

(٣) المائدة ٨٨

(٤) إملاء مامن الرحمن جـ١/٢٢٤

(٥) آل عمران ١١٠

(٦) إملاء مامن به الرحمن جـ١/١٤٥

(٧) إملاء مامن به الرحمن جـ١/١٣٠

ويجوز أن يكون مستقبلا تقديره يتولوا ذكره النحاس وهو ضعيف ، لأن حرف المضارعة لايحذف)(١).

٣ - يميل في توجيهه الإعرابي إلى الآراء البصرية مما ينم عن بصريته وتعصبه لها يكشف عن ذلك قوله :(٢) ("والمقيمين" قراءة الجمهور باليـاء وفيـه عدة أوجه أحدها أنه منصوب على المدح : أي وأعني المقيمين وهو مذهب البصريين ... والثاني أنه معطوف على "ما" ... والثالث أنه معطوف على "قبل"... والرابع أنه معطوف على الكاف في "قبلك" والخامس أنه معطوف على الكاف في "إليك" والسادس أنه معطوف على الهاء والميم في "منهم" وهذه الأجّة الثلاثة عندنا خطأ ، لأن فيها عطف الظاهر على المضمر من غير إعادة الجار)(٣) والمعروف أن عطف الظاهر على المضمر من غير إعادة الجار هو مذهب الكوفيين وكثيرا مايخطئهم العكبري في كتابه يقول : (قوله تعالى "وإن امرأة" مرفوع بفعل محذوف : أي وإن خافت امرأة واستغنى عنه بخافت المذكور . وقال الكوفيون هو مبتدأ وما بعده الخبر وهذا عندنا خطأ لأن حرف الشرط لامعنى له في الاسم فهو مناقض للفعل)(٤).

---

(١) إملاء مامن به الرحمن جـ١/١٣٨

(٢) إملاء مامن به الرحمن جـ١/٢٠٢

(٣) إملاء مامن به الرحمن جـ١/٢٠٢

(٤) إملاء مامن به الرحمن جـ١/١٩٦

٤ - والعكبري في ذكره للأوجه الإعرابية في الكلمة يستشهد لها بما يماثلها من الآيات القرآنية أو الشعر فمن ذلك قوله ("من أولياء" هو المفعول الأول ، "ومن دونك" الثاني وجاز دخول "من" لأنه في سياق النفي فهو كقوله تعالى : "ما اتخذ الله من ولد")(١) وفي قوله تعالى : ودخل جنته)(٢) قال : إنما أفرد الفعل . ولم يقل جنتيه لأنهما جميعا ملكه فصارا كالشيء الواحد ، وقيل اكتفاء بالواحدة عن الاثنتين كما يكتفي بالواحد عن الجمع وهو كقول الهذلي :

والعين بعدهم كأن حداقها

سملت بشوك فهي عور تدمع(٣)

ولكن استشهاد العكبري بالآيات والشعر على الأوجه الإعرابية يبدو قليلا بالنسبة لمادةالكتاب وحجمه.

٥ - اقتصر العكبري في كتابه على الإعراب عند حديثه عن توجيه الكلمات القرآنية دون الخوض في المعنى الذي يترتب على هذا الوجه الإعرابي أو ذاك وهي سمة تتجلى بوضوح في الكتاب ولكن في بعض الأحايين يخرج عن ذلك فيتحدث عن المعنى الذي يترتب على الوجه الإعرابي ويكشف عن ذلك قوله في ("ولا نكذب ، ونكون" يقرآن بالرفع . وفيه وجهان أحدهما هو معطوف على "نرد" فيكون عدم التكذيب والكون من المؤمنين متمنين أيضا كالرد ، والثاني أن

---

(١) المؤمنون ٩١

(٢) الكهف ٣٥

(٣) إملاء مامن به الرحمن جـ١/١٠٢

يكون لمبتدأ محذوف : أي نحن لانكذب وفي المعنى وجهان : أحدهما أنه متمنٍ أيضا فيكون في موضع نصب على الحال من الضمير في "نرد" والثاني أن يكون المعنى أنهم ضمنوا أن لايكذبوا بعد الرد ، فلا يكون للجملة موضع)(١) ومثل هذا الخروج للحديث عن المعنى لم يكن عاما في الكتاب كما أشرنا آنفا.

٦ - وبجانب اهتمام العكبري بالتوجيه الإعرابي اهتم كذلك بجانب الصرف وخاصة فيما يتعلق باشتقاق الكلمات وأصولها ، فمن ذلك قوله : ("والشيطان" فيعال من شطن يشطن إذا بعد ويقال فيه شاطن وتشطين ـ وقيل فعلان من شاط يشيط إذا هلك ـ)(٢) وقوله : والأصل في اسم سمو ، فالمحذوف منه لامه يدل على ذلك قولهم في جمعه أسماء وأسامي وفي تصغيره سُمَيّ ـ وقال الكوفيون : أصله وسم لأنه من الوسم وهو العلامة ، وهذا صحيح في المعنى فاسد اشتقاقا)(٣).

٧ - وقديذكر العكبري لغات العرب في اللفظ الواحد ولكن لايسمي أحدا من قبائل العرب وانما يكتفي بقوله "وفيه لغات" ، أو وهو على لغة من قال "ومن ذلك قوله : (والجمهور على همز "سئل" وقد قريء "سيل" بالياء وهو على لغة من قال : أسلت تسأل بغير همزة مثل خفت تخاف)(٤).

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ج٢٣٩/١

(٢) المرجع السابق ج٤/١

(٣) المرجع السابق ج٤/١

(٤) المرجع السابق ج٥٧/١

٨ - ذكر العكبري في كتابه عددا كبيرا من القراءات القرآنية ، ولكنه لم ينسب القراءة إلى قارئها إلا في النادر القليل جداً ، ويكتفي بقوله (وقريء) أو وقرأ الجمهور أو وقريء شاذا ، وهذه القراءات التي يذكرها العكبري لم يبين درجتها هل هي سبعية أم عشرية؟ ولكنه أحيانا ينبه على شذوذها نحو قوله : ("فاصطادوا قريء في الشاذ بكسر الفاء")(١) وقوله : (ويقرأ في الشاذ "ولا أدراكم به" بالهمزة مكان الألف)(٢) والقراءة التي يوردها العكبري لايتركها بدون توجيه إلا نادرا فمن ذلك قوله : ("رحمة بالرفع عطف على "أذن" : أي هو أذن ورحمة ويقرأ بالجر عطفا على خير فيمن جر خيرا)(٣) ومثل ذلك كثير في الكتاب ويبدو أن العكبري لم يقبل كل قراءة بل كان يرد بعضها سواء كانت سبعية أو غيرها فقد قرأ الحسن البصري في سورة الفاتحة ، (الحمد لله) بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام(٤) وهي قراءة غير سبعية فقال عنها العكبري (وهو ضعيف في الآية لأن فيه إتباع الإعراب البناء وفي ذلك إبطال للإعراب(٥) وقرأ الأعمش (وماكان صلاتهم)(٦) فقال العكبري : (الجمهور على رفع الصلاة ونصب المكاء وهو ظاهر وقرأ الأعمش بالعكس وهي ضعيفة)(٧) . أما تضعيفه لبعض القراءات فقد

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ج٢٠٦/١

(٢) المرجع السابق ج٢٦/٢

(٣) إملاء مامن به الرحمن ج١٧/٢

(٤) القراءات الشاذة /٢٤

(٥) إملاء مامن به الرحمن ج٦٥/٢

(٦) سورة الأنفال ٣٥

(٧) إملاء مامن به الرحمن ج٨٦/٢

مثلنا له في صفحة (١١٣) . وقد يقوي العكبري القراءة على الأخرى مثال ذلك قال : (بما وضعت يقرأ بفتح العين وسكون التاء.. ويقرأ بسكون العين وضم التاء.. والأولى أقوى)(١) - والقراءتان سبعيتان بالأولى قرأ الجمهور وبالثانية قرأ ابن عامر (٢).

وبعد هذا كله ننبه إلى أن الكتاب له قيمته العلمية بين الكتب التي تناولت إعراب القرآن الكريم لما فيه من الفوائد الجمة.

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ج١/١٣١

(٢) النشر ج٢/٢٣٩

الفصل الثاني

أسباب اختلاف التوجيه الإعرابي

الذي يطلع على الكتب التي تتناول إعراب القرآن وعلى بعض كتب التفسير التي تعني بالتوجيه الإعرابي يفاجأ بتعدد وجهات النظر واختلاف التوجيه الإعرابي للكلمة القرآنية إلى تعدد الآراء تعددا يوقع القاريء في الملل والضجر وهذا التعدد في التوجيه الإعرابي يكثر عند المتأخرين ولعل السبب في كثرته عندهم هو محاولة كل معرب أن يجمع أقوال سابقيه فربما كلها أو قبل بعضها ورد بعضها وفي كلتا الحالتين يعلل ماقبله لماذا قبله أو ماردة لماذا رده؟ وربما هداه تفكيره إلى توجيه جديد يعتقد صحته فيثبته.

والحالة من الكثرة بحيث تغنينا عن ضرب المثال ولكن إتماماً للفائدة نوجه الاطلاع على كتاب العكبري (إملاء مامن به الرحمن) وكذلك إلى كتاب آخر في التفسير عُنِي صاحبه بالتوجيه الإعرابي وهو كتاب (روح المعاني للألوسي).

ولكن اختلاف التوجيه الإعرابي وتعدده لابد من وجود أسباب وراءه تدفع إليه وفي حسباني أن أسباب الاختلاف تكمن في الآتي :

١ - اختلاف المدارس النحوية:

تعدد المدارس النحوية على الامتداد الزمني فكان في البدء المدرسة البصرية ثم المدرسة الكوفية ثم المدرسة البغدادية وهي مدرسة قائمة على الانتقاء من المدرستين السابقتين ثم المدرسة النحوية في مصر والشام..الخ. واختلاف هذه المدارس النحوية فيما بينها يعود إلى خصائص المنهج الذي تتبعه كل مدرسة ، فالمدرسة البصرية تميل إلى المنهج العقلي لتأثرها بالثقافات الأجنبية وخاصة الفلسفة اليونانية ومايتصل بها من علم المنطق. والمدرسة الكوفية تميل إلى

المنهج النقلي المعتمد على الرواية ، ومدرسة بغداد تقوم على منهج الاختيار وتميل إلى المنهج العقلي . فتباينت تبعاً لتباين منهجهم آراؤهم النحوية وقلما تتفق فكان لهذا الاختلاف صداه في التوجيه الإعرابي فالمتتلمذ على أي مدرسة من هذه المدارس عندما يأتي لإعراب آية قرآنية فلابد أن يطبق قواعد المدرسة التي يتبعها، وينحو بالهجوم على آراء مخالفيه فربما خطأهم أو نال منهم. ونظرة إلى كتاب ابن الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف) تؤكد ماذهبنا إليه ولعل من المفيد أن نضرب بعض الأمثلة لتوضيح ماقلناه سابقاً.

١ - العطف على اسم "إن" بالرفع قبل مجيء الخبر(١) ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع (إن) قبل إتمام الخبر وعلى ذلك فإن قوله تعالى (والصابئون) في الآية الكريمة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى)(٢) معطوفة على موضع (إن) قبل تمام الخبر وهو قوله تعالى : (من آمن بالله واليوم الآخر) ، أمّا البصريون فقالوا إنّه لايجوز العطف وخطأوا الكوفيين "لأنّ خبر إنّ لم يتم"(٣) وأعربوا (الصابئون) مبتدأ والخبر محذوف(٤) تقديره (والصابئون كذلك) أو تكون (الصابئون) مبتدأ خبره قوله تعالى : (من آمن بالله واليوم الآخر) وتقدّر خبرا لقوله (إنّ الذين آمنوا..) أي إنّ الذين آمنوا.. كذلك أو تكون كلمة ، (الصابئون) عطفا على المضمر في هادوا) وهذا الوجه ضعفه ابن الأنباري.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ، لابن الأنباري ، المسألة ٨٥ ، ج١ ص ١٨٥-١٩٠

(٢) سورة المائدة آية ٦٩

(٣) إملاء مامن به الرحمن ، لابي البقاء العكبري ج١ ص ٢٢٢

(٤) المرجع السابق ج ص ٢٢٠

٢ - تقديم معمول اسم الفعل عليه(١)

يرى الكوفيون أن (عليك ، ودونك ، وعندك) في الإغراء يجوز تقديم معمولاتها عليها فإعراب كلمة (كتاب الله) في قوله تعالى (كتاب الله عليكم وأحِلّ لكم ماوراء ذلك)(٢) مفعول مقدم لاسم الفعل والتقدير عليكم كتاب الله أي الزموا كتاب الله ، وهذا التقديم عند البصريين غير جائز "لأن عليكم وبابه عامل ضعيف فليس له في التقديم تصرف"(٣) ولذا فإن (كتاب الله) إعرابها عندهم منصوبة على المصدر بكتب محذوفة دل عليه قوله (حرمت) ، لأن التحريم كتب ، وقيل انتصابه بفعل محذوف تقديره الزموا كتاب الله(٤).

٣ - وقوع الفعل الماضي حالا(٥)

ذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالا فهم يعربون كلمة (حصرت) في قوله تعالى : (أو جاؤكم حصرت صدورهم)(٦) فعل ماض وهو في موضع الحال وتقديره حصرة صدورهم.واستشهدوا على صحة تقديرهم بقراءة الحسن البصري ويعقوب الحضرمي والمفضل بن عاصم

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ ص ٢٢٨ المسألة ٣٧

(٢) سورة النساء آية ٢٤

(٣) إملاء مامن به الرحمن للعكبري ج١ ص ١٧٥

(٤) المرجع السابق ج١ ص ١٧٤-١٧٥

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ ص ٢٥٢-٢٥٥ المسألة ٣٢

(٦) سورةالنساء آية ٩٠

(أو جاؤكم حصرةً صدورهم)(١) أما البصريون فعندهم لايجوز أن يقع الفعل الماضي حالا وعلى هذا فهم يعربون (حصرت) صفة (لقوم) المجرور في أول الآية وهو قوله تعالى (إلا الذين يصلون إلى قوم) أو صفة لقوم مقدر ويكون التقدير فيه : أو جاؤكم قوم حصرت صدروهم ، أو يعرب خبرا بعد خبر كأنه قال أو جاؤكم ثم أخبر تقال : حصرت صدروهم أو يكون الفعل محمولا على الدعاء،لا على الحال.

ونكتفي بهذه الأمثلة مخافة الإطالة والإملال وهي كذلك في تقديري كافية لتوضيح هذا السبب الذي نراه أحد الأسباب التي يرجع إليها كثير من اختلافات التوجيه الإعرابي.

ب - اختلاف لغات القبائل :

إنّ البحث في لغة القرآن لاينفصل عن البحث في لغة القبائل فهما كالوجهين لعملة واحدة ولعل السؤال عن اللغة التي أنزل بها القرآن يعد جانبا مهماً من جوانب البحث اللغوي طرقه العلماء قديما ولا زال موصولا إلى وقتنا الحاضر،فهناك فريق من العلماء يرى أن لغة قريش هي اللغة التي نزل بها القرآن ومن هؤلاء ابن قتيبة يقول : (لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش)(٢)

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ ص ٢٥٣

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص ٦٣

ويستدل على كلامه بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)(١). وقول الرسول صلى الله عليه وسلم هم قريش فالقرآن إذن نزل بلغتهم ، وفريق ثان من العلماء يذهب إلى أن القرآن نزل بلغة سبع من قبائل العرب واعتمدوا في تحديد العدد سبع على قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف..)(٢) ثم إنهم اختلفوا في تعيين أسماء القبائل السبعة التي نزلت بها لغة القرآن وقد نقل السيوطي اختلافهم(٣) فعن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن قال : والعجز سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهؤلاء كلهم من هوازن ويقال لهم : عليا هوازن ، وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس قال : نزل القرآن بلغة الكعبيين : كعب قريش وكعب خزاعة . وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش ، وهذيل وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر ، وقيل : نزل بلغة مضر خاصة لقول عمر رضي الله عنه : نزل القرآن بلغة مضر وعين بعضهم فيما حكاه ابن عبد البر السبع من مضر أنهم هذيل ، وكنانة ، وقيس ، وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش.

ويبدو لي أن هناك تشابهاً كبيراً بين تحديد العدد بسبع قبائل وتعيين أسماء هذه القبائل عند الذين بحثوا في اللغات التي نزل بها القرآن وبين أقوال

---

(١) إبراهيم آية ٤

(٢) صحيح البخاري جـ ١٥٢/٦

(٣) الإتقان في علوم القرآن جـ١ ص٦٣

النحاة في تعيين أسماء القبائل التي أخذت عنها اللغة واعتمد عليها في التقعيد والتقنين لعلمي النحو والصرف "قال أبو نصر الفارابي ـ كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وإبانة عما في نفسي ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب ، هم قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"(١).

وبالنظرة المتأنية إلى أقوال الذين حددوا لغة القرآن بسبع لغات من قبائل العرب نجد العقل لايكاد يطمئن إلى ماقالوه ، لأن القرآن حوى لغات قبائل أكثر من العدد المحدد عندهم ولابن عباس كتاب مؤلف في لغات القبائل التي وردت في القرآن مطبوع وقد ضمّ عددا أكثر من العدد الذي حدده بعض العلماء بسبع قبائل . وحكي السيوطي عن أبي بكر الواسطي أنه قال في كتابه (الإرشاد في القراءات العشر) : "في القرآن من اللغات خمسون لغة : لغة قريش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وأشعر ونمير وقيس عيلان وجرهم واليمن وأزد شنوءه وكندة وتميم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت وسدوس والعمالقة وأنمار وغسان ومذحج وخزاعة وغطفان وسبأ وعمان وبنو حنيفة وثعلب وطيء

---

(١) الاقتراح في علم أصول النحو ، للسيوطي ص ٥٦

وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وبلى وعذرة وهوزان والنمر واليمامة(١) وليت هذا التعدد في استعمال القرآن الكثير من لغات العرب أفسح له النحويون المجال عند تأصيلهم للقواعد النحوية لكان أجدى للغة من حصر قواعدها في لغات سبع علما بأنهم نصوا في أصولهم : أن اللغات على اختلافها كلها حجة وليس لأحد أن يرد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق من رسيلتها(٢) وفي شرح التسهيل لأبي حيان : كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه(٣).

وحصر النحاة لقواعد النحو المستنبطة في عدد سبع من لغات العرب وعدم التفاتهم إلى لغات القبائل الأخرى نتج عنه بعض الاضطراب في قواعدهم أدى بهم إلى التمحل والتكلف والتأويل والتعليل في الإعراب حتى إن تعدد التوجيه الإعرابي للكلمة وإذا لم تكن الكلمة المعربة واقعة في دائرة اللغات المتعارف عليها بينهم فيلجأ إلى التقدير والتخريج حتى تخضع هذه الكلمة لقواعدهم ولو اعترفوا بهذه اللغة التي جاءت الكلمة عليها لأراحوا أنفسهم من عناء التمحل والتكلف والتقديرات البعيدة ، ولعل بالمثال يتضح ماقلناه آنفا.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ج١ ص١٧٧

(٢) كتاب الخصائص لابن جني ج٢ ص١٠

(٣) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص١٨٦

١ - في إعراب الاسم المثنى :

إن اللغة المشهورة في إعراب المثنى أنْ يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء وبجانب هذه اللغة المشهورة هناك لغة قبيلة تلزم المثنى بالألف رفعا ونصبا وجرا وهي لغة بني الحرث بن كعب وقبائل أخرى(١) ونسبها صاحب البحر إلى بني سليم(٢) ونسبها أبو عبيد عن أبي الخطاب إلى قبيلة كنانة(٣) وعلى هذه اللغة قرأ ابن كثير قوله تعالى : (إنّ هذان لساحران)(٤) بتشديد (إن) و (هذان) بالألف(٥) فلو خرج النحاة هذه القراءة على هذه اللغة لأراحوا واستراحوا ولكن عدم التفاتهم إلى هذه اللغة جعلهم يتكلفون لها توجيهات إعرابية متعددة "قال الزجاج : وقال النحويون القدماء : هاهنا هاء مضمرة (المعنى (أنه هذان لساحران) وقال المبرد : (إن) بمعنى نعم المعنى نعم هذان لساحران فيكون ابتداء وخبر. وقال قطرب : يجوز أن يكون المعنى (أجل) تصديقا من بعضهم لبعض . وقال الفراء في (هذان) : إنهم زادوا فيها النون في التثنية وتركوها على حالها في الرفع والنصب والجر كما فعلوا في الذي فقالوا الذين في الرفع والنصب والجر(٦) . وعلى هذه اللغة

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ج١ ص٧٩

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٢٧٢/٦

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ص٤٥٤

(٤) طه آية : ٦٣

(٥) التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٥٩٢

(٦) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٤٥٥-٤٥٦

قرأ أبو سعيد الخدري والجحدري في الشواذ قوله تعالى(١) (فكان أبواه مؤمنين)(٢) فقرأ (مؤمنان) بالألف قال السمين : (وفيه ثلاثة أوَجه أحدها : أنه على لغة بني الحرث وغيرهم ، والثاني : أن في كان ضمير الشأن و (أبواه مؤمنان) مبتدأ وخبر في محل نصب.. والثالث: أن في كان ضمير الغلام أي فكان الغلام والجملة بعده الخبر وهو أحسن الوجوه)(٣).

٢ - الفعل إذا أسند للفاعل المثنى والمجموع:

اللغة المشهورة فيما إذا أسند الفعل إلى الفاعل الظاهر مثنى أو مجموع أن يجرد الفعل من علامة التثنية والجمع ولكن هناك بعض القبائل لاتجرد الفعل من هذه العلامة مع الفاعل المثنى والمجموع وحكى بعض النحويين أنها لغة طيء ، وبعضهم أنها لغة أزد شنوءة(٤) ومما جاء على هذه اللغة قوله تعالى : (ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم)(٥) ، ولما كان بعض النحاة لايقر هذه اللغة أخذ يوجه كلمة (كثير) فقيل في إعرابها (خبر مبتدأ محذوف: أي العمي والصم كثير منهم . وقيل هو بدل من ضمير الفاعل في صموا ، وقيل هو مبتدأ والجملة قبله خبر عنه أي كثير منهم عموا)(٦) وفي هذين المثالين غنى عن السرد لتوضيح ما أومأنا إليه سابقا.

---

(١) البحر المحيط ج٦ ص٢٧٢

(٢) الكهف آية ٨٠

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (مخطوط ٤٤٣)

(٤) حاشية الصبان ج٢ ص٤٨

(٥) المائدة آية ٧١

(٦) إملاء مامن به الرحمن للعكبري ج١ ص ٢٢٢

ج - آراء النحاة الفردية :

أوضحنا فيما سبق أن الاختلافات المدرسية سبب مهم في اختلاف التوجيه الإعرابي . ولايقل عنه أثرا الآراء الفردية لطائفة من علماء النحو على الامتداد الزماني والمكاني فالنحو كغيره من العلوم الإنسانية ميدان حيوي لتفاعل القدرات العقلية كما أنه مضمار رحب يجري فيه العقل مع غيره للإتيان بالجديد ولم يعدم علم النحو فارسا له آراؤه التي يخالف بها غيره من النحويين السابقين عليه في بعض مسائل علم النحو ولا تزال الأسفار التي دونت في هذا العلم تزخر بالآراء الفردية لكثير من العلماء كأبي عمرو، ويونس، والخليل، وسيبويه، والأخفش، والكسائي، والمبرد والفراء والجرمي، والمازني، والزجاج، والفارسي، وابن جني، والرماني، وابن كيسان، وابن عصفور، وابن الحاجب وأبي حيان وابن مالك وابن هشام وغيرهم وقد كان لهذه الآراء الفردية صداها في الكتب التي تناولت إعراب القرآن فلا يكاد يخلو منها كتاب فمثلا كان الخليل يرى أن مفعول (تنزع) محذوف في قوله تعالى : (لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً)(١) تقديره (الفريق) . ويرى يونس أن جملة (أيهم أشد) هي مفعول (ننزع)(٢) ، وكان الأخفش يرى أن الواو في قوله تعالى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها)(٣) زائدة فعنده أن الواو تزاد في الكلام

(١) مريم آية ٦٩

(٢) مغني اللبيب لابن هشام ص١٠٨

(٣) الزمر آية ٧٣

واتبعه في ذلك الكوفيون ، وقيل إن الواو في الآية عاطفة والزائدة في قوله :(وقال لهم خزنتها) وقيل : هما عاطفتان والجواب محذوف(١) وذهب قطرب أن "لا" في قوله تعالى (لاجرم أن لهم النار وأنّهم مفرطون)(٢) أنها زائدة و (جرم) وما بعدها فعل وفاعل وردة الفراء بأن "لا" لاتزاد في أول الكلام(٣) . وذهب عثمان المازني في قوله تعالى : "إنّه الحق مثل ما أنكم تنطقون"(٤) إلى جعل (مثل) و (ما) اسما واحدا، فبنى الأول على الفتح وهما جميعا عنده في موضع رفع ، لكونها صفة لكلمة (حق)(٥). وقال الفراء في قوله تعالى (كهيعص. ذكر رحمة ربك)(٦) (ذكر) هو مرفوع ب (كهيعص) وأنكر ذلك عليه الزجاج وقال الأخفش هو مبتدأ محذوف خبره تقديره:وفيما يقص عليك ذكر رحمة ربك(٧). واختلفت آراء بعض النحاة حول إعراب كلمة: (والصابئون) في الآية الكريمة:(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)(٨) فقال الخليل وسيبويه إنه مرفوع بالابتداء

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام ص ٤٧٣-٤٧٤

(٢) النحل آية ٦٢

(٣) المغني لابن هشام ص ٣١٤

(٤) الذاريات آية ٢٣

(٥) الخصائص لابن جني ج٢ ص١٨٢

(٦) مريم آية ١-٢

(٧) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ج٢ ص٥٠

(٨) المائدة آية ٦٩

وهو منوي به التأخير ، وذهب الكسائي والفراء إلى أنه معطوف على موضع اسم (إنّ) لأنه قبل دخول إنّ كان في موضع رفع وجاء عن الكسائي أيضا أنه مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في (هادوا)(١) ، وقد أورد مكي ابن أبي طالب هذا الوجه عن الفراء(٢) والصواب نسبته للكسائي كما ذكر أبو حيان(٣) وابن الشجري في أماليه(٤). هذا ولا ندعي أن جميع الآراء النحوية في التوجيه الإعرابي للآيات القرآنية صواب كلها بل إن هناك أخطاء إعرابية وقع فيها بعض من تعرض لإعراب القرآن ، وقد خصص ابن هشام في كتابه المغني (الباب الخامس)(٥) لذكر الأمور التي تقع بالمعرب في الخطأ وهي عشرة.

أولا : أن يراعي مايقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى كقول الزمخشري في قوله تعالى : (ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي)(٦) إن انتصاب (أواري) في جواب الاستفهام ، ووجه فساده أن جواب الشيء مسبب عنه والمواراة - لاتتسبب عن العجز ،وإنما انتصابه بالعطف على (أكون)(٧).

---

(١) البحر المحيط لابن حيان ج٣/٥٣

(٢) مشكل إعراب القرآن ، لمكي ج١ ص ٢٣٧

(٣) البحر المحيط ج٣/٥٣١

(٤) أمالي ابن الشجري ٢/٤٥٣

(٥) المغني ص ٦٨٤-٧٨٦

(٦) المائدة آية ٣١

(٧) المغني ص ٦٩٥

ثانيا : أن يراعي المعرب معنى صحيحا ولا ينظر صحته في الصناعة،كقول الحوفي : إن الباء من قوله تعالى : (فناظرة بم يرجع المرسلون)(١) متعلقة بـ (فناظرة) ويردّه أن الاستفهام له الصدر (٢).

ثالثا : أن يخرج على مالم يثبت في العربية . كقول أبي عبيدة في قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق)(٣) إن الكاف حرف قسم(٤).

رابعا : أن يخرج على الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة ويترك الوجه القريب ، فإن كان لم يظهر له إلا ذاك فله العذر كقول الكوفيين والزجاج(٥) في قوله تعالى : (ص . والقرآن ذي الذكر)(٦) إن جوابه (إنّ ذلك لحق)(٧).

خامسا : أن يترك بعض ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة كما في قوله تعالى : (وما ربك بغافل)(٨) تحتمل ما الحجازية والتميمية ، وأوجب الفارسي والزمخشري الحجازية ظنا أن المقتضى لزيادة الباء نصب الخبر وإنما المقتضى نفيه(٩).

---

(١) النمل آية : ٣٥

(٢) المغني / ٧٠٢

(٣) الأنفال آية ٥

(٤) المغني ص ٧٠٧

(٥) المغني ص ٧١١

(٦) ، (٧) ص آية ١ ، ٦٤

(٨) الأنعام آية ١٣٢

(٩) المغني ص ٧٢٧-٧٢٨

سادسا : ألا يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب فإن العرب يشترطون في باب شيئاً ويشترطون في آخر نقيض ذلك الشيء على ما اقتصته حكمة لغتهم وصحيح أقيستهم(١).

سابعا : أن يحمل كلاما على شيء ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموقع بخلافه كقول أبي البقاء في "أفمن أسس بنيانه على تقوى"(٢) إن الظرف حال أي : على قصد تقوى ، أو مفعول أسس ، وهذا الوجه هو المعتمد عليه عندي لتعيينه في (لمسجد أسس على التقوى)(٣).

ثامنا : أن يحمل المعرب على شيء وفي ذلك الموضع ما يدفعه كقول مكي وغيره في قوله تعالى : (ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها)(٤) إن جنات بدل من الفضل ، والأولى أنه مبتدأ لقراءة بعضهم بالنصب(٥).

تاسعا : ألا يتأمل عند وجود المتشابهات . كقوله تعالى (اغترف غرفة بيده)(٦) إن فتحت الغين فمفعول مطلق أو ضممتها فمفعول به(٧).

---

(١) المغني ص ٧٤١-٧٧٣

(٢) التوبة آية ١٠٩

(٣) المغني ص ٧٧٦

(٤) فاطر آية ٣٢-٣٣

(٥) المغني ٧٧٨

(٦) البقرة آية ٢٤٩

(٧) المغني ص ٧٨٢

عاشـرا : أن يخرج على خلاف الأصـل أو على خلاف الظاهـر لغير مقتضي كقول مكي في (لاتبطلوا صـدقاتكم بالمن والأذي كالذي)(١) : إن الكاف نعت لمصـدر محذوف ، أي إبطالا كالذي ، ويلزمه أن يقـدّر إبطالا كإبطال إنفاق الذي ينفق والوجه أن يكون كالذي حالا من الواو ، أي لاتبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق . فهذا الوجه لاحذف فيه(٢).

وقد أورد السيوطي ما أورده ابن هشام في كتابه (الاتقان في علوم القرآن تحت (النوع الحادي والأربعون : في معرفة إعرابه)(٣) وزاد عليه ثلاثة أمور أحدها : أن يراعي الرسم ومن ثم خطيء من قال في (سلسبيلا)(٤) إنها جملة أمرية أي سل طريقا موصلة إليها(٥) . الثاني : أن يبحث عن الأصلي والزائد نحو قوله تعالى : (إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح)(٦) فإنّه قد يتوهم أن الواو في (يعفون) ضمير الجمع فيشكل إثبات النون وليس كذلك(٧) . الثالث : أن يجتنب إطلاق لفظ الزائدة في كتاب الله تعالى فإن الزائد قد يفهم منه أنّه لامعنى له(٨).

ولعل ما أوردناه فيه كفاية لإيضاح ما قلناه آنفا من أن الآراء الفردية كان لها أثر في اختلاف التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم كما أنها سبب فعال في كثرته.

---

(١) البقرة آية ٢٤٦
(٢) المغني ص ٧٨٢
(٣) الإتقان ج١ ص ٢٣٥-٢٣٨
(٤) الإنسان ١٨
(٥) الإتقان ج١ ص ٢٣٧
(٦) البقرة آية ٢٣٧
(٧) الإتقان ج١ ص ٢٣٨
(٨) الإتقان ج١ ص ٢٣٨

الباب الثاني

القراءات وحديث الأحرف السبعة

الفصل الأول

علم القراءات وتطوره

الفصل الثاني

اختلاف الآراء في تفسير الأحرف السبعة

الفصل الأول

علم القراءات وتطوره

ذكر العلماء للقراءة القرآنية تعاريف كثيرة ، ولكن معظمهم لم يكن دقيقاً في تعريفه لها ، ولعل من الحسن أن نعرض بعضها للنظر فيه ثم نرجح ماهو أقرب إلى الصواب.

فقد ذكر الزركشي أن القراءة (هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرهما)(١) وعرفها البقاعي بأنها (علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والاثبات والإسكان والفصل والايصال وهيئة النطق والإبدال من حيث السمع)(٢) وهي عند ابن الجزري (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة)(٣) وقال التهانوي (القراءة بالكسر وتخفيف الراء المهملة - هي عند القراء أن يقرأ القرآن سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعاً أو أداء بأن يأخذ من المشايخ..(٤) وجاء تعريف القراءة في (الموسوعة العربية الميسرة) بأنها (طريقة تلاوة القرآن ونطق ألفاظه ، مخففة أو مشددة ، ممالة أو مسموعة ، ممدودة أو مقصورة . ولابد فيها من التلقي والسماع)(٥).

وبالنظر إلى تعريف البقاعي ، وابن الجزري والتهانوي وما ذكره صاحب (الموسوعة العربية الميسرة) نجد هؤلاء العلماء أغفلوا أمرين مهمين لاغنى لتعريف القراء عنهما

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي ج٣١٨/١

(٢) زبدة العرفان ، عبد الرحمن البالوي ، المقدمة.

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص ٣

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج١١٥٨/٥

(٥) الموسوعة العربية الميسرة / ص ١٣٧٢

أحدهما : الوحي وهو المصدر الحقيقي للقراءة ، فقد جاء في الحديث النبوي أن القراءة المعتمدة وحي من الله أوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويبين ذلك حديث اختلاف قراءة عمر بن الخطاب عن قراءة هشام ابن حكيم في سورة الفرقان واحتكامهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه. فقلت : من أقرأك هذه السورة؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له : كذبت ، فوالله إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ياعمر ، اقرأ ياهشام فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ياعمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا

الأمر الثاني :

منتهى سند هذه القراءات وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما عليه إجماع الأمة ففي قول هشام الآنف الذكر في رده على عمر رضي الله عنهما (...أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم...) ورد عمر عليه (...كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها...) أقول ففي قوليهما دليل على أن القراءات القرآنية الثابتة معزوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ماتوهم به تعارف العلماء المتقدمة للقراءة ، فهي قد توحي بأن القراءة مذهب يذهب إليه القاريء. أو بتعبير أوضح هي اختيار يقوم على اجتهاد القاريء . فخلو تعريفاتهم من هذين الأمرين صراحة يعد قصورا فيها ، في حين أنهم معتقدون أن مصدر القراءة هو الوحي وأنها سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول حتى يصل سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن الجزري : روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة ، وعن ابن المنكدر ، وعروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وعامر الشعبي من التابعين أنهم قالوا القراءة سنة يأخذها الآخر من الأول فاقرءوا كما علمتموه.

أما تعرف الزركشي للقراءة (بأنها اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها) فقد نص على الأمر الأول وهو أن الوحي مصدر القراءة ، غير أنه أغفل الأمر الثاني وهو منتهى سند هذه القراءة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالإضافة إلى ذلك فقد قصر الزركشي تعريفه للقراءة على المختلف فيه من ألفاظ الوحي ، في حين أن التعريفات السابقة وسعت تعريف القراءة ليدخل

المتفق عليه والمختلف فيه من ألفاظ الوحي ولعل أقرب تعريف للقراءة القرآنية من الصواب ماذكره عبد الهادي الفضلي فهي عنده : النطق بألفاظ القرآن كما نطقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كما نطقت أمامه - رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرها سواء كان النطق باللفظ المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلا أو تقريرا واحدا أم متعددا"(١) فقد جمع هذا التعريف بين المصدر الحقيقي للقراءات وهو الوحي وبين منتهى سندها وهو الرسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المتفق عليه والمختلف فيه من ألفاظ القرآن.

وقد مر علم القراءات أثناء تطوره بمراحل تاريخية حتى استكمل نموه وصار علما له فنونه ومذاهبه ورجاله فقد نزل جبريل بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم فكان عليه الصلاة والسلام يحفظه لتوه ولربما عاجل الملك مخافة أن يفوته شيء من القرآن كما دل على ذلك قوله تعالى : (لاتحرك به لسانك لتعجل به . إنّ علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)(٢) - وقد فسر قوله : (إن علينا جمعه) أي جمعه في صدرك حتى لايذهب عليك منه شيء ، و (قرآنه) أي إثبات قراءته في لسانك(٣) فالآية جمعت للرسول صلى الله عليه وسلم ثبات حفظ القرآن في صدره ، وسلامة النطق به من الخطأ على لسانه.

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأموراً بالتبليغ عن ربه عز وجل ، فقد دأب عليه الصلاة والسلام على تعليم المسلمين القرآن بقراءته عليهم ، تنفيذا لقوله

---

(١) القراءات القرآنية عبد الهادي الفضلي ، ص ٦٤

(٢) سورة القيامة آية ١٦-١٨

(٣) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص ٣٢٨

تعالى : (وقرآنـــا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)(١) فقد ذكر أبو عمـــرو الداني في كتاب (البيان) بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبي : أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخـــرى حتى يتعلموا مافيها من العمل ، فيعلمنا القرآن والعمـــل جميعا(٢) وعلى هذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لايزال يقـــرؤه عليهم ويقرئهم إياه(٣) حتى حفظ عنه الصحابة رضوان الله عليهم القـــرآن كاملا غير منقوص مع التفاوت بينهم في القدر المحفوظ عنه فقد روى عن الشعبـــي أنه قال : لم يجمع القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم غير ستة كلهـــم من الأنصار زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعـــب ، وأبو الدرداء ، ونسي السادس ، رواه إسماعيل ابن أبي خالد عن الشعبـــي فسمى السادس سعد بن عبيد وزاد آخر وهو مجمع بن جارية فقال : قـــرأ أيضا القرآن إلا سورة أو سورتين أو ثلاث(٤) وفي البخاري عن قتادة قـــال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أربعـــة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيـــد ، وفي رواية : مات الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القـــرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد(٥) غير أن تحديد عدد النفر الذين حفظوا

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٠٦

(٢) الجامع لاحكام القرآن ، ج١ ص ٣٩

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٣

(٤) معرفة القراء الكبار ، ج١ ص ٣٦ ، ٣٧

(٥) البرهان في علوم القرآن ، ج١ ص ٢٤١

القرآن من الصحابة بستة أشخاص أو أربعة قضية غير مسلم بها ، يدفعها يوم (بئر معونة) إذ قتل فيه سبعون رجلا من الصحابة كانوا يسمون بالقراء وهو أيضا مدفوع بكثرة القراء الذين قتلوا في حروب الردة يوم اليمامة وذكر القرطبي أن عددهم كان سبعين رجلا(١) . وقد ذكر الإمام أبو عبد القاسم بن سلام في أول كتابه في القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم . فذكر من الصحابة أبابكر (ت١٣هـ) وعمر (ت٢٣هـ) وعثمان (ت٣٥) وعليا (ت ٤٠) وطلحة (ت ٣٦هـ) وسعد (ت ٥٦هـ) وابن مسعود (ت ٣٢هـ) وحذيفة (ت ٣٦هـ) وسالما(ت ١٢هـ) وأبا هريرة (ت٥٧هـ) وابن عمر (ت٧٣هـ) وابن عباس (ت٦٨هـ) وعمرو إبن العاص (ت٤٣هـ) وابنه عبد الله (ت ٦٥هـ) ومعاوية (ت٦٠هـ) وابن الزبير (ت ٧٣هـ) وعبد الله بن السائب (ت٧٠هـ) وعائشة (ت٥٨هـ) وحفصة (ت٤٥هـ) وأم سلمة (ت٥٩هـ) وهؤلاء كلهم من المهاجرين(٢) بالإضافة إلى الأنصار الذين تقدم ذكرهم . وقد يؤكد مانذهب إليه أن أبا بكر الباقلاني تعقب تلك الآثار التي خصصت تحديد عدد حفاظ القرآن بقوله : إن "جميع ماقدمناه من صفات الصحابة وتمسكهم بالقرآن ، وتحفظهم له ، معلوم ضرورة بأخبار متواترة المعنى ، فلا يترك ذلك لأخبار آحاد بل يجب أن يعتقد في أخبار الآحاد الضعف والوهن أو تأويلها على وجه يصح ويجمع به بينها وبين الخبر المتواتر"(٣).

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ج١ ، ص ٩٦

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١٠ ص ٥٠

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن ، للباقلاني ، ص٨٧

وفي خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وقعت حروب الردة ، وقتل فيها عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم، ففي يوم اليمامة قتل سبعون قارئا كما ذكر الطبري ، مما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقترح على أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن مخافة ضياعه واندثاره ، فقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت (ت٤٥هـ) قال : أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك رأي عمر . قال زيد: قال أبو بكر إنك شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن أجمعه . فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله الرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره - لقد جاءكم رسول - حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر(١).

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص ٩٨-٩٩

هذا وقد قام حملة القرآن من الصحابة الذين أتقنوا حفظه في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم بمهمة إقراء القرآن غيرهم واشتهر منهم سبعة هم : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري(١). وقد ذكر الذهبي عند حديثه عن الطبقة الثانية من القراء ، أن أباهريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش ، وأبا العالية قرؤوا على أبي بن كعب ، وأن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي قرأ على عثمان بن عفان ، وأن الأسود بن يزيد النخعي أخذ القراءة عرضا عن ابن مسعود وكذلك علقمة بن قيس ، وأن أبا عبد الرحمن السلمي عرض على عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب . ثم إنّ هؤلاء الصحابة تفرقوا في الأمصار وأخذوا بإقراء القرآن حتى إنه أخذ عنهم خلق كثير(٢) ، ولكن القراءات القرآنية في عهد عثمان رضي الله عنه دخلت مرحلة جديدة من مراحل تطورها ، فقد أسلفنا أن الصحابة أقرؤوا القرآن غيرهم وتفرق الذين أخذوا عنهم القرآن في الأمصار وقد أخذ كل منهم يقرأ على الوجه الذي حفظه من الصحابي وقد يكون مخالفا لقراءة غيره فحدث بينهم التنازع في القرآن حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يكفر بصاحبه ، أو يكفر بقراءته ، وقد حدث شيء من هذا في المدينة حاضرة الخلافة ، روي أيوب عن أبي قلابة قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين قال أيوب

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، ج١ ص ٩٦

(٢) معرفة القراء الكبار ج١ ص ٤٠-٥٠

لا أعلمه إلا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان(١) فهذا شيء مما حدث بين يدي عثمان وأما ماحدث في الأمصار البعيدة عن دار الخلافة فيمثله مانقله حذيفة بن اليمان للخليفة عثمان رضي الله عنهما فقد روي البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل الطرق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري(٢). وهذا التنازع الذي حدث بين قَرَأَةَ القرآن حمل عثمان على جمع الأمة على مصحف واحد ، فقد روي عن مصعب بن سعد قال : قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس ، عهدكم بنبيّكم منذ ثلاث عشرة ، وأنتم تمترون في القرآن ، وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله يقول الرجل والله ماتقيم قراءتك، فاعزم على كل رجل منكم ماكان معه من كتاب الله شيء لما جاء به(٣) فبدأ عثمان حينئذ في العمل فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف(٤) وكان عددها خمسة أو ستة فبعث بها إلى الأمصار مع مبعوثين هم :

---

(١) كتاب المصاحف ، ص ٢١

(٢) صحيح البخاري ، ج٦ ص ١٨٤،١٨٣

(٣) كتاب المصاحف ، ص : ٢٤،٢٣(٤) صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٨٤

١ - عبد الله بن السائب المخزومي إلى مكة

٢ - أبو عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة.

٣ - عامر بن عبد القيسي إلى البصرة

٤ - المغيرة بن أبي شهاب المخزومي إلى الشام.

٥ - وجعل الخامس في المدينة وعين زيد بن ثابت يقريء الناس به(١)

أمر عثمان بعد ذلك بإحراق جميع المصاحف التي كانت موجودة قبل هذه فأخذ الصحابة يقرئون الناس من مصاحف عثمان مما يوافق رسمه . ثم قام الذين أخذوا عنهم مقامهم فكان بالمدينة : ابن المسيب وعروة ، وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاريء وعبد الرحمن ابن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهري ومسلم بن جنوب وزيد بن أسلم ، وبمكة عبيد بن عمير ، وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد وعكرمة ، وابن أبي مليكة(٢).

وبالكوفة : علقمة والأسود ، ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثيم ، وعمر بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضلة ، وأبو زرعة بن عمر ابن جرير ، وسعيد بن حبير ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي - وبالبصرة : عامر بن عبد قيس وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، ومعاذ ، وجابر بن زيد ، والحسن وابن سيرين،

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص ٨٤

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١ ص ٥٢

وقتادة ، وبالشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء وتسلمنا هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى امتازت بظهور رجال تفرغوا للقراءة وأخذها والاعتناء بضبطها أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ، وأجمع أهل بلدهم تلقي قراءاتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ، فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت١٣٠هـ) ثم شيبة بن نصاح(ت١٣٠هـ) ثم نافع بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ) وكان بمكة عبد الله بن كثير (ت١٢٠هـ) وحميد بن قيس الأعرج (ت١٣٠هـ) ومحمد بن محيصن (ت١٢٣هـ) وكان بالكوفة يحيى بن وثاب (١٠٣هـ) وعاصم ابن أبي النجود (١٢٩هـ) وسليمان الأعمش (ت١٤٨هـ) ثم حمزة (ت١٥٦هـ) ثم الكسائي (ت ١٨٩هـ) وكان بالبصرة عبد الله بن أبي إسحاق (ت١٢٩) وعيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ثم عاصم الجحدري (ت١٢٨هـ) ثم يعقوب الحضرمي (ت٢٠٥هـ) وكان بالشام عبدالله بن عامر (ت١١٨هـ) وعطية بن قيس الكلابي (ت١٢١هـ) وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر (ت١٤٥هـ) ثم يحيى بن الحارث الذماري (ت١٤٥هـ) ثم شريح بن يزيد الحضرمي (ت٢٠٣هـ)(١).

وقد اشتهر من هؤلاء القراء المتقدمي الذكر الأئمة السبعة ، فنسبت إليهم القراءة ، وعكف الناس على اقتفاء أثرهم والأخذ عنهم وهؤلاء القراء السبعة هم : عبد الله بن كثير (ت١٢٠هـ) في مكة وعاصم بن أبي النجود(ت١٢٩هـ) وحمزة (ت١٥٦هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) وهؤلاء الثلاثة في الكوفة .

---

(١) النشر في القراءات العشر ج١ ص ٥٢،٥٣ /الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص ٩٧

ونافع بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ) في المدينة وعبد الله بن عامر (ت١١٨هـ) بالشام وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) في البصرة.

هذا التطور الذي حدث في علم القراءة من حيث الضبط والإتقان الأدائي من قبل كل قاريء عن سابقه حتى يصل إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصحبه تطور آخر وإن تأخر عنه بعض الشيء ، هذا التطور حدث في مجال التأليف في القراءات . فقد ذكر السيوطي أن أول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام(١) المتوفي عام ٢٢٤ واسم مؤلفه (كتاب القراءات) ويبدوا أن السيوطي تابع ابن الجزري في تحديد أول من صنف في القراءات فقد ذكر ابن الجزري أن "أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبوعبيد القاسم ابن سلام وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئا ، مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين"(٢).

وقول ابن الجزري والسيوطي ومن تابعهما في أن أبا عبيد القاسم بن سلام هو أول من ألف في هذا الفن أمر يحوطه الشك فقد ذكر صاحب الفهرست أشخاصا ألفوا في ذلك وكانت تواريخ وفاتهم سابقة على وفاة أبي عبيد المتوفي عام ٢٢٤هـ.

ومن هؤلاء المصنفين أبان تغلب (١٤١هـ) قال عنه صاحب الفهرست "وله من الكتب كتاب معاني القرآن - لطيف - وكتاب القراءات وكتاب في الأصول في الرواية على مذهب الشيعة(٣).

---

(١) الإتقان ، للسيوطي ج١ ص ٩٧

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، ج١ ص : ٣٣ - ٣٤

(٣) الفهرست ، لابن النديم ص ٢٧٦

ومنهم زائدة بن قدامة الثقفي (١٦١هـ) قال عنه "وله من الكتب ، كتاب السنن ـ كتاب القراءات ، كتاب التفسير ، كتاب الزهد ، كتاب المناقب"(١) ومنهم الكسائي (١٩٧هـ) قال عنه (وله من الكتب كتاب معاني القرآن ، كتاب مختصر النحو . كتاب القراءات(٢) . غير أن أبان بن ثعلب (١٤١هـ) لم يكن هو أول من صنف في هذا المجال فقد سبقه يحيى بن يعمر (ت٩٠هـ) إلى ذلك ولعله يعد نحق أول من كتب في القراءات ، فقد قال عنه ابن عطية : إن يحيى بن يعمر "ألف ـ كتابا في القراءات جمع فيه ماروي من اختلاف الناس فيما وافق الخط ومشي الناس على ذلك زمانا طويلا إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات"(٣) ثم تتابعت بعد ذلك التصانيف في هذا الفن ، فقد ذكر ابن النديم بعض أسماء من ألف في ذلك(٤) . وقد ذكر حاجي خليفة في كتاب (كشف الظنون) مايقارب . أربعة وثمانين ومائة مصنف في القراءة وفي الوقوف والرسم ونحوه(٥).

هذا وقد كان يساير التطوير الأدائي ، والتطور التأليفي ، تطور ثالث يتعلق بالمقياس القرائي ، وتعود بدايته إلى عثمان رضي الله عنه ، عندما أمر بكتابة المصاحف وتوزيعها على الأمصار وحمل الناس على القراءة فيها ، وترك ماعداها،

---

(١) الفهرست لابن النديم ، ص ٢٨٢ . وقد ذكر ابن النديم أن زائدة هذا توفى سنة إحدى وستين أوستين دون المائة بالعله وهم أو خطأ مطبعي أو حقيقة.

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٧٢

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٧٦

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٨

(٥) كشف الظنون لحاجي خليفة ، ج٢ ص ١٣١٧-١٣٢٣

فامتثل أهل الأمصار لأمره فأخذ كل أهل مصر يقرءون القرآن بالقراءة التي أخذها عن الصحابي مما وافق رسم المصحف الذي أرسله عثمان إليهم وبذلك برز أول مقياس قرائي . صار فيما بعد أحد المقاييس الثلاثة التي وضعها علماء القراءات لصحة القراءة وضمنوها في كتبهم ، فقد وضع ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) مقياس القراءة الصحيحة في كتابه (السبعة في القراءات) وهذا المقياس عنده يقوم على شرطين هما :

أ - أن يكون القارىء مجمعا على قراءته من قبل أهل مصره

ب - أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته قائما على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة أصالة وعمقا(١).

ونلحظ في مقياس ابن مجاهد خلوه من اشتراط موافقة القراءة للمصحف الإمام أو أحد المصاحف العثمانية صراحة .

أما مقاييس القراءة الصحيحة التي يقرأ بها عند مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧هـ) فقد ضمنها في كتابه (الإبانة) هي :

"أن ينقل عن الثقات إلى الرسول الله صلى الله وسلم ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قريء به ، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع - من جهة موافقته لخط المصحف وكفر من جحده"(٢).

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص : ٤٩

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن ابي طالب ، ص١٨

وبالنظر إلى ماذهب إليه ابن مجاهد ، وماذهب إليه مكي فإنّا نجد أن ابن مجاهد جعل مدار مقياسه للقراءة الصحيحة ينصب على القاريء نفسه ، إذ اشترط إجماع أهل المصر على قراءته ، وشهادتهم بأنه عالم بالقراءة وعالم باللغة أصالة وعمقا . بينما جعل مكي مدار مقياسه ينصب على القراءة ذاتها ، فاشترط فيها موافقتها لخط المصحف ، وشيوع الوجه في العربية ، وصحة السند دون اشتراط التواتر فيه . غير أن هذا المقياس الذي وضعه مكي وجعل مدار القراءة أصابه بعض التغيير ، ولكن ظلت أسسه كما هي فالكواشي (ت٦٨٠هـ) وضع مقياسا للقراءة الصحيحة في أول تفسيره ، فيه اختلاف قليل عن مقياس مكي ولكن الأسس واحدة يقول الكواشي "فكل ماصح سنده واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ"(١).

فكل من مكي والكواشي اشترطا صحة السند ولم يشترطا التواتر فيه ولكنهما اختلفا في الشرطين الباقيين فمكي اشترط شيوع الوجه في العربية بينما الكواشي اشترط استقامة الوجه في العربية سواء كان راجحا أو مرجوحا . أما الشرط الثاني فمكي اشترط فيه موافقة القراءة خط أحد المصاحف العثمانية التي بعثها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار بينما الكواشي اشترط فيه موافقة القراءة خط المصحف الإمام أي خط مصحف عثمان الذي استبقاه لنفسه.

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلاني ج١ ص٦٧

وأما ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فيرى أن :

"كل قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها فهي القراءة المتواترة المقطوع بها . ومعنى العربية مطلقا أي ولو بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة (والأرحام) بالجر - ومعنى أحد المصاحف العثمانية واحد من المصاحف التي وجهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار وكقراءة ابن كثير في التوبة (جنات تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من) فإنها لاتوجد إلا في مصحف مكة . ومعنى ولو تقديرا مايحتمله رسم المصحف كقراءة من قرأ (مالك يوم الدين) بالألف فإنها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف فاحتملت الكتابة أن تكون (مالك) وفعل بها كما فعل باسم الفاعل من قوله قادر وصالح ونحو ذلك مما حذفت منه الألف للاختصار فهو موافق للرسم تقديرا ، ونعني بالتواتر مارواه جماعة عن جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد هذا هو الصحيح وقيل بالتعيين واختلفوا فيه فقيل ستة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل أربعون وقيل سبعون"(١).

وبالنظر إلى ماقاله ابن الجزري وإلى ماقاله كل من مكي والكواشي نجد أن ابن الجزري اشترط تواتر السند في صحة القراءة بينما مكي والكواشي اشترطا صحة السند وهو يحمل عندهما على (مانقله العدل الضابط عن مثله ، كذلك إلى منتهاه مع اشتهاره عند أئمة هذا الشأن الضابطين له . وهو غير معدود عندهم من الغلط

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزري ص ١٥

ولا مما شذ به بعضهم(١) واشترط ابن الجزري أيضا موافقة خط أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا بينما اشترط مكي موافقة خط المصاحف العثمانية ولعله يعني بذلك أن تكون الموافقة لخط أحد المصاحف العثمانية موافقة صريحة ، كما يتبادر إلى الذهن بينما اشترط الكواشي موافقة خط المصحف الإمام دون سائر المصاحف العثمانية كما يفهم من نص عبارته. أما فيما يتعلق بالشرط الثالث فقد اشترط ابن الجزري موافقة العربية مطلقا وكذلك اشترط الكواشي استقامة الوجه في العربية فهما بمعنى واحد وان اختلفت ألفاظ عبارتهما فموافقة العربية مطلقا لابد أن تكون مستقيمة صحيحة لها وجه في العربية وفي اشتراط ابن الجزري والكواشي توسعة في الاشتراط ليدخل فيه قدر كبير من القراءات المختلفة في قراءتها والمتفق عليها. أمّا مكي فاشترط قوة وجه القراءة في العربية وفيه من التضييق مافيه.

وقد ظلت هذه المقاييس التي وضعها هؤلاء العلماء هي المعمول بها عند الذين جاءوا من بعدهم ، يضبطون بها قراءاتهم ، ويدونونها في مؤلفاتهم ، مع بعض التصرف ، فهذا صاحب (الإتحاف) (ت ١١١٧هـ) يقول في ضوابط القراءة "فكل ماصح سنده ووافق وجها من أوجه النحو سواء كان أفصح أو فصيحا مجمعا عليه أو مختلفا فيه اختلافا لايضر مثله ووافق خط مصحف من المصاحف المذكورة فهو من السبعة الأحرف المنصوصة في الحديث فإذا اجتمعت هذه الثلاثة في قراءة وجب قبولها

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلاني ج١ ص٦٨

سواء كانت عن السبعة أم عن العشرة أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين ... إلا أن بعضهم لم يكتف بصحة السند بل اشترط مع الركنين التواتر..."(١)

ومما يجدر التنويه به أن استقرار المقياس القرائي كان له أثر في تميز القراءة الصحيحة المعتمدة من القراءة المخالفة التي اصطلح علي تسميتها بالقراءة الشاذة لخروجها عن ضوابط القراء الصحيحة أو على واحد منها.

ولعل من خلال ماتقدم من حديث يكون قد تبلورت فكرة تطور علم القراءة خلال هذه السنوات بفضل جهود رجاله العاملين في حقله.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، الدمياطي ص ١١

الفصل الثاني

اختلاف الآراء في تفسير حديث الأحرف السبعة

اهتم الباحثون قدماء ومحدثون على اختلاف مشاربهم بحديث الأحرف السبعة فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه" والحديث رواه جمع كبير من الصحابة عليهم الرضوان ، وقد ذكر السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) اسم واحد وعشرين صحابيا(١) ممن روي هذا الحديث . وروي الحافظ أبو يعلي الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوما وهو على المنبر "أذكر أن رجلا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف" لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف" فقال عثمان رضي الله عنه وأنا أشهد معهم"(٢)

وأول العلماء هذا الحديث ، كلٌ حسب الفن الذي يعمل فيه ، فاللغوي يؤوله تأويلا لغويا ، وكذلك النحوي ، والقاريء ، والبلاغي والفقيه ، والصوفي والواعظ... إلخ. حتى إنه اختلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولا أوردها السيوطي(٣) في كتابه الإتقان.

وهذه الأقوال التي طرحت لتأويل الحديث يمكن إرجاع اختلافها إلى قسمين هما :

الأول : أقوال تحمل الحديث على اختلاف ألفاظ القرآن في البناء والإعراب والزيادة والنقص والتقديم والتأخير ، واختلاف لغات القبائل والإفراد والتثنية والجمع... وهذا ماسنبسطه في موضعه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ج١ ص ٦١

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١ ص٧٠

(٣) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٦١

الثاني : وهو الذي يفسر الحديث تفسيرا معنويا لاعلاقة له بالقراءة كأن يكون المراد بالأحرف السبعة مثلا الحلال والحرام والأمر والنهي والزجر ، وخبر ماهو كائن بعد، وأمثال . أو يكون المراد بالأحرف السبعة - المحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ والخصوص والعموم ، والقصص . أو يكون سبع جهات لايتعدّاها الكلام وهي لفظ خاص أريد له الخاص ، ولفظ عام أريد به العام ، ولفظ عام أريد به الخاص ، ولفظ خاص أريد به العام ، ولفظ يستغني بتنزيله عن تأويله ولفظ لايعلم فقهه إلا العلماء ، ولفظ لايعلم معناه إلا الراسخون . أو يكون المراد بها إظهار الربوبية ، وإثبات الوحدانية وتعظيم الألوهية ، والتعبد لله ، ومجانبة الاشراك ، والترغيب في الثواب ، والترهيب من العقاب ، أو يكون المراد بها الحذف والصلة والتقديم والتأخير والاستعارة والتكرار والكناية والحقيقة والمجاز والمجمل والمفسر والظاهر والغريب ، أو يكون المراد به الجزم والخدمة مع الحياء ، والكرم والفتوة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء ، والتضرع والاستعفاء مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة ، والمحبة والشوق مع المشاهدة.

وقد حكي هذه الأقوال جلال الدين السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)(١)

وهذه الأقوال . وما ماثلها متداخلة وبعضها قريب من بعض ، وبعضها مجهول قائله ، فهو إمّا رجل فقيه ، أو مفسر ، أو نحوي ، أو متصوف أو مشتغل بالبلاغة

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، ج١ / ٦٤-٦٥

أو مشتغل بالعقيدة .. وهي لايمكن الاطمئنان إليها في تفسير الحديث لأمرين :

أحدهما أنها لاتتفق مع الغاية التي أنزل الله من أجلها القرآن الكريم على سبعة أحرف وهي التيسير وتجنب المشقة فقد "روى أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان عند أضاءة بن غفار . قال : فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال : "أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنّ أمتي لاتطيق ذلك" ثم أتاه الثانية فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإنّ أمتي لاتطيق ذلك ثم جاءه الثالثة . فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته . وان أمتي لاتطيق ذلك" ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فإيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا"(١)

وأمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست على حالة سواء ، فكان من تيسير الله عليهم بأن أمر نبيه عليه الصلاة والسلام "بأن يقريء كل قوم بلغتهم وماجرت عليه عاداتهم فالهذلي يقرأ (عتى حين) يريد (حتى حين)(٢) لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والأسدي يقرأ تعلمون وتعلم و (تسود وجوه)(٣) و (ألم إعهد إليكم)(٤) والتميمي يهمز ، والقرشي لايهمز . والآخر يقرأ (وإذا قيل

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص : ٥٦٢-٥٦٣

(٢) سورة المؤمنون ، آية ٥٤

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٠٦

(٤) سورة يس آية ٦٠

لهم)(١) (وغيض الماء)(٢) بإشمام الضم مع الكسر.. ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وماجرى عليه اعتباره طفلا وناشئا وكهلا.. لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنه فيه)(٣).

أما الأمر الثاني : وهو أن الخلاف الذي وقع بين عمر بن الخطاب وبين هشام بن حكيم كان اختلافا في القراءة والأداء فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم كليهما ، ولو كان اختلافا في المعنى لأدى ذلك إلى التناقض الذي لايمكن صدور تصويبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وكذلك لايمكن تصور وقوعه في القرآن لقوله تعالى : (الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير..)(٤) . فلما احتكم عمر وهشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسألهما عما وقر في صدريهما من معان وإنما قال موجها الخطاب لعمر (أرسله ياعمر اقرأ ياهشام) فاستمع إلى قراءة هشام ثم صوبها. ثم قال لعمر (اقرأ ياعمر) فاستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقراءة عمر ثم صوبها أيضا فدل قوله "اقرأ" لكل منهما على أن الاختلاف وقع في القراءة لا في المعنى.

أما القسم الأول من الأقوال التي فسرت حديث الأحرف السبعة فهي تتطلب وقفة متأنية للمناقشة.

---

(١) سورة البقرة آية ١١

(٢) سورة هود آية ٤٤

(٣) تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ص٣٩

(٤) سورة هود آية ١

القول الأول :

يرى أن الحديث من المشكل الذي لايدري معناه ، لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة . ونسب أبو شامة المقدسي هذا القول لأبي جعفر محمد بن سعدان النحوي في كتابه (المرشد الوجيز)(١) وهذا القول لايمكن قبوله لأن معنى الحديث قد عرفه ووعاه كل من عمر وهشام والصحابة الذين سمعوا الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم وليس غموض معناه عند بعض المتأخرين دليلاً على أنه مشكل.

القول الثاني :

يرى أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ولايراد العدد العين وهذا ذكره السيوطي وقال : "وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه"(٢) ويرد على هذا القول الحديث الذي رواه ابن عباس "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"(٣) فدل قوله : (فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة) على وقوع الزيادة من الله وإنتهاؤها إلى حقيقة العدد سبعة فدل ذلك على أن حقيقة العدد مرادةٌ.

---

(١) المرشد الوجيز ، لأبي شامة المقدسي ، ص ٩٣

(٢) الاتقان في علوم القرآن ج١ ص ٦١

(٣) صحيح مسلم ج١ ص ٥٦١

القول الثالث :

يرى أن المراد به سبع قراءات كاللغات التي في "أف" وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة ذكره ابن عطية في مقدمة تفسيره ولم ينسبه وقطع بضعفه(١) وكذلك ذكر السيوطي(٢).

القول الرابع :

يرى أن المراد بالسبعة أوجه المعاني بألفاظ مختلفة نحو أقبل ، وتعال وعجل وأسرع . وهو مأخوذ من قول ابن مسعود : إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم كقولك : هلم وتعال ، وأقبل(٣) وكذلك نسب هذال القول أيضا إلى ابن سيرين(٤) وإلى سعيد بن المسيب لما سئل (ماسبعة الحروف؟ فقال كقوله: هلم، وتعال وأقبل)(٥) وأخذ به بعض أهل العلم كسفيان بن عيينه ، وعبدالله بن وهب ، والطبري ، والطحاوي وغيرهم(٦) ومن المحدثين مناع القطان(٧) ولكن هذا القول لايمكن الركون إليه فلو سلمنا أن الترادف اللفظي،

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ج١ ص٥١

(٢) الإتقان في علومالقرآن ج١ ص٦١

(٣) المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي ص ٥١

(٤) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ج١ ص ٢٨٦

(٥) نكت الانتصار لنقل القرآن ، للباقلاني ص١١٧

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرشبي ج١ ص ٤٢

(٧) مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص ١٤٠

هو المعنى المقصود من الحديث ومن قرأ به أو ببعضه أصاب فلو ثبت أن هذا هو المراد ، ثبت كذلك ضمنا أن ماخالفها ليس بمراد ، فهو إذن ليس بقراءة صحيحة بل تحريف للقرآن اجتمعت عليه الأمّة . فعلى هذا يكون كل أداء يتعلق بالجانب الصرفي أو النحوي أو الصوتي..الخ. ليس بقراءة صحيحة بل هو تحريف خارج عن معنى الحديث. ولكن لما ثبت استحالة اجتماع الأمّة على ضلال ، دل على أن قصر معنى الأحرف السبعة على الألفاظ المترادفة لمعنى واحد أمر غير منطقي يجب رده . وبالإضافة إلى هذا ، فإن هذا القول يفتح الباب لقراءة القرآن بالمعنى وهو أمر قد حضر عليه بكتابة عثمان للقرآن حيث منعت كل قراءة تخالف خط المصاحف التي كتبها ولعل هذا الرأي المستند إلى أخبار غير مرفوعة للرسول الله صلى الله عليه وسلم جعل(نولدكه) يقول "إن نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية ، لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص يثبته على مايهواه"(١) ولكن نولدكه تناسي أن القرآن حفظ وكتب بلفظه ومعناه المنزلين كاملا في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في عهد أبي بكر ثم في عهد عثمان رضي الله عنهما بتوثيق بلغ الغاية في الإتقان إذا تعاضد الحفظ والكتابة في حفظ النص القرآني حتى وصل إلينا سالما من أي تحريف أو نقص.

القول الخامس :

يرى أن المراد به سبع لغات من لغات العرب - واختلف في تعيين هذه القبائل على أقوال :

---

(١) نقلا عن كتاب (مباحث في علوم القرآن) صبحي الصالح ص ١٠٧

١ - روي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن قال : والعجز سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف.

٢ - أخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس قال : نزل القرآن بلغة الكعبيين كعب قريش وكعب خزاعة.

٣ - قال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش وهذيل ، وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن وسعد ابن بكر.

٤ - حكى ابن عبد البر السبع من مضر أنهم هذيل ، وكنانة ، وقيس ، وضبّة ، وتيم الرباب ، وأسد ابن خزيمة ، وقريش.

٥ - قال أبو عبيد : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة اليمن ، وغيرهم ، قال : وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا(١) . وهذا القول الخامس في تأويل الأحرف السبعة رضيه من المتقدمين ابن عطية(٢).

ويمكن الاعتراض عليه بالاختلاف الواضح في تعيين أسماء القبائل السبعة بين أصحاب هذا القول ولعل سبب هذا الاختلاف في تعيين القبائل عائد على عدم وجود دليل أو سبب علمي يقوم عليه هذا التعيين ولعله قائم على الاجتهاد الشخصي

---

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب الإتقان للسيوطي ج١ ص٦٣

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج١ ص٥٦-٥٩

وأكثر .هذه الأقوال اضطرابا قول أبي عبيد لوجود التناقض بين طرفيه ، بين قوله (اللغات السبع مفرقة فيه) أي في القرآن وبين قوله (وغيرهم) فقوله وغيرهم يدخل فيه بقية القبائل وهي حتما مختلفة فيما بينها بشكل يجعل كل واحدة منها لغة أو مجموعة مستقلة مغايرة لغيرها فيكون ذلك العدد أكثر من سبعة وهو العدد الذي قرره في بداية قوله ولعل الخروج من التخصيص في لغة القرآن إلى العموم أجدى لأنه أمر يقره الاستقراء للغة القرآن "فلغة غسان وردت فيه أربع مرات ولغةخزاعة مرتين ولغة لخم مرتين أيضاً كما ورد عن ابن عباس أن من القبائل التي جاء القرآن يلغتها لغة ثقيف... كما ثبت أن القرآن بعضه بلغة جذام وبعضه بلغة اليمن وبعضه بلغة قضاعة ، وبعضه بلغة اليمامة ، وبعضه بلغة النمر"(١) بالإضافة إلى لغات القبائل التي ذكرها أصحاب هذا القول وإلى غيرها من اللغات التي وردت في القرآن مما لايسع المجال لذكرها . ولعل هذا يؤكد ماذهب إليه إبراهيم أنيس من أن لغة القبائل قبل الإسلام توحدت في لغة أدبية مختارة الألفاظ يعمد إليها الشاعر والخطيب كلما عنّ له القول وتلك كانت اللغة النموذجية(٢) وبهذه اللغة النموذجية نزل القرآن . ويدعم هذا ماقاله أبو بكر الباقلاني في قوله تعالى : "إنا جعلناه قرآنا عربيا"(٣) قال (ولم يقر قريشا فلم يجز لأحد أن يدعي أن المراد بالعرب لغة قريش خاصة ، لأن ذلك يدخل عليه ادعاء غيره أنه منزل بلغة ربيعة أو قحطان ، بل

---

(١) اللهجات العربية في التراث ، أحمد علم الدين الجندي ج١ ص١٨٢

(٢) في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ص ٤٠

(٣) سورة الزخرف ، آية ٣

اسم العرب يتناول جميع العرب"(١) ولعل هذا الذي تقدم من اعتراض يجعلنا نرفض هذا القول في تأويل حديث الأحرف السبعة بأن الاختلاف مرده اختلاف لغات القبائل فحسب.

القول السادس :

يرى أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير . وقد قال بهذا القول ابن قتيبة في كتاب (تأويل مشكل القرآن) ومكي بن أبي طالب في كتابه (الإبانة) وأبو الفضل الرازي في (اللوائح) وابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر) ، غير أن القائلين بهذا القول بينهم فروق تتضح عند المقارنة ، وحتى تكتمل الفائدة نرى من الأجدى عرض أقوالهم.

رأي ابن قتيبة(٢) :

قال : وقد تدبرت وجوه الخلاف في القرآن فوجدتها سبعة أوجه :

أولها : الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها (هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم)(٣) وأطهرَ لكم (ويأمرون الناس بالبُخْل)(٤) وبالبَخْل.

---

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن لأبي بكر الباقلاني ص ٣٨٥

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٦-٢٨

(٣) سورة هود آية ٧٨

(٤) سورة النساء آية ٣٧

"نيها : أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة نحو (ربنا بَاعِدْ بين أسفارنا(١) (ربنا بَاعَدَ بين أسفارنا) (ادّكر بعد أُمةٍ)(٢) وبعد أَمّة.

ثالثها : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها (وانظر إلى العظام كيف ننشزها)(٣) وننشزها (حتى فُزّع عن قلوبهم)(٤) وفَزّعَ.

رابعها : أن يكون فَزّع في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله (إن كانت الازقية) و (صيحة)(٥) (كالصوف المنفوش) و (كالعهن)(٦).

خامسها : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو (وطلع منضود) في موضع (وطلح منضود)(٧).

سادسها : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير.

---

(١) سورة سبأ آية ١٩

(٢) سورة يوسف آية ٤٥

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٩

(٤) سورة سبأ آية ٢٣

(٥) سورة يس آية ٢٩

(٦) سورة القارعة آية ٥

(٧) سورة الواقعة آية ٢٩

سابعها : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو (وماعملت أيديهم) (وماعملته أيديهم)(١) (إنّ الله هو الغني الحميد)(٢) (إنّ الله الغني الحميد).

قول مكي بن أبي طالب(٣) :

والذي يشتمل عليه معنى القراءات أنها ترجع إلى سبعة أوجه :

الأول : أن يختلف في إعراب الكلمة . أو في حركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو (البُخْل والبَخْل).

الثاني : ان يكون الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركات بنائها بما يغير معناها على غير التضاد ، ولا يزيلها عن صورتها في الخط وذلك نحو : "ربنا باعد بين أسفارنا" و "ربنا بعّد بن أسفارنا" و "ادّكر بعد أُمَّة" و "اذكر بعد أَمّة".

الثالث : أن يكون الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولايغير صورة الخط بها في رأي العين نحو "ننشرها ، وننشزها.

الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولايغير معناها نحو كالصفوف المنفوش و "كالعهن المنفوش".

---

(١) سورة يس آية ٣٥

(٢) سورة الحديد آية ٢٤

(٣) الإبانة عن معاني القراءات لمكي ص ٥٥ - ٥٧

الخامس : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الخط ويزيل معناها نحو (الم تنزيل الكتاب) في موضع (الم ذلك الكتاب).

السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو (وجاءت سكرة الحق بالموت) وبذلك قرأ ابن مسعود.

السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان في الحروف والكلام نحو (تجري تحتها) في سورة (براءة) في آية رقم مائة فقد قرأت (تجري من تحتها)(١) بزيادة (من) . أما مااختلف فيه القراء من الإمالة والإدغام ، والأظهار ، والمد ، والقصر والتشديد والتخفيف وشبه ذلك فهو من القسم الأول.

قول أبي الفضل الرازي(٢) :

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

الثالث : وجوه الإعراب.

الرابع : النقص والزيادة.

الخامس : التقديم والتأخير.

السادس : الإبدال.

---

(١) سورة براءة آية ١٠٠

(٢) الإتقان للسيوطي ج١ ص ٦٢

السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق ، والتفخيم والإدغام ، والإظهار ونحو ذلك.

قول ابن الجزري(١) :

قال : إني تتبعت القراءات صحيحها ، وشاذها ، وضعيفها ، ومنكرها ، فاذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لايخرج عنها،وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو (البخل) بأربعة* (ويحسب)* بوجهين أو بتغير في المعنى فقط نحو (فتلقى آدم من ربه كلمات)(٢) (وادّكر بعد أُمّة ، أَمَة). وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو (تبلوا،وتتلوا).. أو عكس ذلك نحو (بصطة وبسطة والصراط والسراط) . أو بتغيرها نحو (أشد منكم ، ومنهم)(٣) وإما في التقديم والتأخير نحو .. (وجاءت سكرة الحق بالموت)(٤) أو في الزيادة والنقصان نحو (وأوصى ، ووصى)(٥) و (الذكر والانثى)(٦) . فهذه سبعة أوجه لايخرج الاختلاف عنها ، وأما نحو اختلاف الاظهار ، والإدغام ، والروم ،

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١/٢٦-٢٧

* مثل البُخْل والبَخْل والبِخِل والبَخَل * يحِسب ، يحسَب

(٢) سورة البقرة آية ٧

(٣) الروم آية ٩ فاطر آية ٤٤

(٤) سورة ق آية ١٩

(٥) سورة البقرة آية

(٦) سورة الليل آية ٣ / انظر كتاب النشر في القراءات العشر ج١/٢٦

والإشمام والتفخيم والترقيق والمد ، والقصر ، والإمالة ، ، والفتح ، والتحقيق ، والتسهيل ، والإبدال ، والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لاتخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ولئن فرض فيكون من الأول.

ولعله بعد الاطلاع على رأي ابن قتيبة ، ومكي بن أبي طالب ، وابن الجزري نخرج بملحوظتين مهمتين :

الأولى : أن مكيا وابن الجزري لم يأتيا بجديد في تأويل حديث الأحرف السبعة . في رأيهما الذي ادعياه ، وإنما يعود فضل السبق في هذا الرأي إلى ابن قتيبة ، أما هما فقد ادعيا هذا الرأي ونسباه لنفسيهما ولهذا القول مايبرره.

أ - أن أوجه الخلاف السبعة التي ذكرها مكي وابن الجزري هي عين ماذكره ابن قتيبة بدون زيادة أو تغير فهي مطابقة لها تمام المطابقة.

ب - أن الترتيب بين أوجه الاختلاف السبعة من الأول إلى السابع عند كل من مكي وابن الجزري هو عينه عند ابن قتيبة بدون تقديم أو تأخير.

ج - أن بعض الأمثلة المستشهد بها على أوجه الخلاف عند مكي وابن الجزري متماثلة وكذلك تماثل بعض ماورد عند ابن قتيبة.

ولعل هذه المبررات تجعلنا نعتقد أن مكيا وابن الجزري ادعيا رأي ابن قتيبة وإذا كان هناك جديد يذكر لمكي في رأيه فهو ما أدخله من أصول القراءات تحت الوجه الأول

وهو : الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها في الكتاب ولايغير معناها ، أما ابن الجزري فلا جديد عنده البتة حتى في تنبيهه على أصول القراءات وأنها تدخل تحت الوجه الأول قد سبقه إلى ذلك مكي بل نقول بأنه هو رأي مكي قال به ابن الجزري ولم ينسبه إلى صاحبه وهو مكي ومما يجعلنا نعتقد هذا: أن ابن الجزري بعد الإنتهاء من ذكر أوجه الخلاف ذكر رأي أبي الفضل الرازي ورأي ابن قتيبة(١) ولم يذكر رأي مكي بن أبي طالب فهل يعني هذا أن ابن الجزري لم يطلع على كتاب (الإبانة) لمكي؟ إن عدم اطلاع ابن الجزري على كتاب الإبانة غير وارد لأنه استشهد برأي مكي الذي ضمنه كتاب (الإبانة) عندما كان يتحدث عن سند القراءات(٢) . ومما يقوي اطلاع ابن الجزري على رأي مكي أن بعض الأمثلة التي تفرد بها مكي للاستشهاد على أوجه الخلاف أوردها ابن الجزري في الوجه نفسه الذي أوردها فيه مكي.

ولعل بعد ماقدمنا لايخدعنا قول ابن الجزري : (ولازلت أستشكل هذا الحديث ، وأفكر فيه ، وأمعن النظر فيه نيفاً وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله)(٣).

الملاحظة الثانية : إذا أعدنا النظر في رأي ابن قتيبة ومكي وابن الجزري نجد أن أوجه الاختلاف في الحقيقة - ليست سبعة كما ذكروها إنما هي أقل من ذلك بعد إرجاع

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١ ص ٢٧

(٢) المرجع السابق ج١ ص ١٣ ، ١٤ ، ٤٦

(٣) المرجع السابق ج١ ص ٢٦

بعضها إلى مماثله ، لأن كلا منهم شتت مجتمعا . فالوجه الأول وهو (اختلاف في الحركات يؤدي إلى تغيير المعنى دون الصورة) وهذان الوجهان يمكن إرجاعهما إلى وجه واحد لأن مدارهما الحركة سواء كانت حركة إعراب أو حركة بناء . أما الوجه الثالث وهو: (اختلاف في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة) والوجه الرابع ، وهو (اختلاف في الحروف بتغيير المعنى والصورة) فهذه الأوجه الثلاث يمكن إرجاعها إلى وجه واحد لأن مدارها الحرف. وبعد هذا التغير الذي أحدثناه يمكن إرجاع أوجه الاختلاف التي ذكرها ابن قتيبة ، ومكي وابن الجزري إلى أربعة أوجه فقط:

الوجه الأول : اختلاف ناتج عن تبديل حركة بناء أو إعراب.

الوجه الثاني : اختلاف ناتج عن تبديل الحروف.

الوجه الثالث : اختلاف ناتج عن التقديم والتأخير.

الوجه الرابع : اختلاف ناتج عن الزيادة والنقصان.

أما رأي أبي الفضل الرازي ، فإنه جمع في الوجه الثالث (وجوه الإعراب) والوجه السادس (الإبدال) جميع ماتفرق عند ابن قتيبة ومكي وابن الجزري.

وبعد هذا فإننا نقول إنّ المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير ، ولعل رأي أبي الفضل الرازي هو الذي نرجحه دون غيره من الآراء بعد تعديله على الصورة الآتية :

إنّ الكلام لا يخرج على سبعة أوجه من الاختلاف:

الوجه الأول : اختلاف ناتج عن تبديل حركة بناء أو إعراب.

الوجه الثاني : اختلاف ناتج عن تبديل الحروف.

الوجه الثالث : اختلاف ناتج عن التقديم والتأخير.

الوجه الرابع : اختلاف ناتج عن الزيادة والنقصان.

الوجه الخامس : اختلاف ناتج عن تصريف الأفعال.

الوجه السادس : اختلاف الأسماء في إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.

الوجه السابع : اختلاف اللغات في أصول القراءات كالإدغام ، والإماله والمد والقصر والإظهار والتشديد والتخفيف... الخ.

وقولنا إن المراد بحديث الأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير قول له مايبرره.

أولا : إن هذا الرأي يخلو من الاعتراضات التي وجهت لغيره من الآراء التي طرحت لتأويل الحديث.

ثانيا : إن هذا الرأي قائم على طريقة علمية وهي الاستقراء الشامل للقراءات الصحيحة والشاذة.

ثالثا : أن هذا الرأي يتمشى مع روح الأحاديث التي تنص على أن سبب إنزال القرآن على سبعة أحرف هو التسهيل والتيسير على الأمة في تلاوتها للقرآن الكريم ، فقد روي عن أبي بن كعب قال : (لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ، فقال ياجبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ والكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط ، قال : يامحمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف)(١) قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح.

ولعل ماذكر آنفا يبرر ترجيحنا لهذا الرأي.

---

(١) سنن الترمذي ج١ ، ص ١٤١

الباب الثالث

أصول قراءات القراء السبعة

جاء في معجم (لسان العرب) الأصل : أسفل كل شيء(١) ، وقيل أصل كل شيء مايستند وجود ذلك الشيء إليه... وقيل : الأصل مايُبْنَى عليه غيره(٢)... وجمع أصل أصول لايكسر على غير ذلك(٣).

أما تعريف (الأصول) عند علماء القراءات فهي ما "ينسحب حكم الواحد منها على الجميع"(٤) . أي أنها عبارة عن الحكم المطرد في كل ماتحقق فيه شرط الأصل. والأصل بهذه الصورة عكس (الفرش) ، لأنهم (يسمون ماقل دوره من الحروف فرشا ، لانتشاره فكأنه انفرش"(٥) . ولعلنا بعد هذا التقديم نصل إلى الحديث عن اختلاف أصول قراءات القراء السبعة.

أولا : اختلافهم في الإمالة:

الميل لغة : العدول إلى الشيء والإقبال عليه وكذلك الميلان(٦) والمصدر ماله ميلا،وأماله اليه إمالة(٧). أما (الإمالة) اصطلاحا. (فإن تنحو بالفتحة نحو الكسر وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض. ويقال له : الاضجاع ، ويقال له البطح ، وربما قيل له الكسر أيضا. (وقليلا) وهو بني اللفظين ، ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين"(٨).

---

(١) لسان العرب ج١١/١٦

(٢) تاج العروس للزبيدي ج١ ص ٣٠٧

(٣) لسان العرب ج١١ /١٦

(٤) إبراز المعاني لابي شامة / ٢٢٦

(٥) المرجع السابق / ٢٢٦

(٦) لسان العرب ج١١/٦٣٦

(٧) تاج العروس ج٨/١٢٢

(٨) النشر في القراءات العشر ج٢/٣٠

وقد ذكر العلماء للإمالة عدة أسباب جميعها ترجع إلى شيئين ، أحدهما : الكسرة والثاني : الياء. وقد ذكر سيبويه أن الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور مثل كلمة (عالم) و (هابيل)(١) وإذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك ، والأول مكسور مثل : (عماد) فإن الألف تمال ، لأنه لايتفاوت ما بينهما بحرف(٢) وتمال أيضا إن كان بين الحرف الآول المكسور وبين الألف حرفان الأول ساكن ، لأن الساكن ليس بحاجز قوي(٣) نحو (سربال) (شملال). قال سيبويه: "وجميع هذا لايميله أهل الحجاز"(٤).

ومما تمال ألفه كل شيء من بنات الألف والواو وكانت عينه مفتوحة(٥) مثل (رمى) و (غزا) ، (رحى) ، (مرمى) و (مغزى) . ويمال أيضا كل اسم كانت آخره ألف زائدة للتأنيث أو لغير ذلك لأنها بمنزلة ماهو من بنات الياء(٦) مثل : (حبلى) و (معزى) . ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين بحيث تصير الكلمة عند إسنادها إلى تاء المتكلم على وزن (فلت) بكسر الفاء ، سواء كانت العين واوا نحو : (خاف) أو ياء نحو : (باع). قال سيبويه : "وهي لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلايميلون"(٧) وتُمَال الألف إذا وقعت بعد الياء مثل - كيّال)(٨) قال سيبويه : "وكثير من العرب وأهل الحجاز لايميلون هذه

---

(١) سيبويه ج٤/١١٧

(٢) سيبويه ج٤/١١٧

(٣) سيبويه ج٤/١١٧

(٤) سيبويه ج٤/١١٨

(٥) سيبويه ج٤/١١٨

(٦) سيبويه ج٤/١١٨

(٧) سيبويه ج٤/١٢١

(٨) شرح ابن عقيل ج٢/٥٢٢

الألف"(١) وتمال الألف أيضاإذا كانت منفصلة عن الياء بحرف نحو : (يسار) أو بحرفين أحدهما هاء نحو (بينها)(٢) وكذلك تمال لمناسبة ألف قبلها مشتملة على سبب الإمالة قال سيبويه: "وقال ناس : رأيت عماداوأمالوا للإمالة كما أمالوا للكسرة"(٣) وقد يميلون الألف لأجل كثرة الاستعمال فكإمالتهم كلمة (الحجاج) علما لكثرته في كلامهم(٤).

وهناك سببان لإمالة الفتحة ، أحدهما/ أن تمال الفتحة قبل الراء المكسورة وصلا ووقفا نحو : (من الضرر) و (ومن الكبر)(٥) والثاني : إذا وقع بعد الفتحة هاء التأنيث(٦) نحو : (قيمة) و (رحمة).

ولعلنا بعد هذا نأخذ في بيان من عرفت عنه الإمالة من القراء السبعة والحروف التي أمالوها.

١ - ما أماله حمزة والكسائي :

وهما أكثر القراء اشتهارا بالإمالة إذ أوشكا أن يميلا كل ما أمكن أن يمال ، ولعله من المفيد أن نذكر المواضع التي أمالا فيها.

١ - أمالا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن سواء كانت في اسم أو فعل نحو : (الهدى) و (استعلى)(٧).

---

(١) سيبويه ج١٢٣/٤

(٢) المرجع السابق ج١٢٧/٢

(٣) المرجع السابق ج١٢٣/٢

(٤) شرح ابن عقيل ج٥٢٨/٢

(٥) النشر في القراءات العشر ج٣٥/٢

(٦) المرجع السابق ج٣٦/٢

(٧) تقريب النشر لابن الجزري /٥٥

٢ - أمالا كل ألف تأنيث جاءت على وزن (فُعلى) بضم الفاء أو كسرها أو فتحها: (طوبى) و (إحدى) و (مولى).

٣ - أمالا ماكان على وزن (فعالى) بضم الفاء أو فتحها نحو (سكارى) و (نصارى).

٤ - أما لا مارسم في المصحف بالياء نحو : (متى) و (ياويلتي) واستثنى من ذلك (حتى) و (إلى) و (وما زكى منكم)(١).

٥ - أما لا على الأصول المذكورة رءوس الآي من إحدى عشرة سورة وهي (طه) و (النجم) و (سأل سائل) و (القيامة) و (المنازعات) و (عبس) و (الأعلى) و (الشمس) و (الليل) و (الضحى) و (الفلق)(٢).

٦ - أمالا من الواوي ماكسر أوله أو ضم نحو (الرِباء) و (الضّحى) كيف جاء(٣).

ب - ما أماله أبو عمرو والكسائي برواية أبي عمر الدوري:

١ - أمالا كل ألف بعدها (راء) متطرفة مجرورة نحو (الدار) و (النار) و (الكفار) ، سواء كانت الألف أصلية أو زائدة(٤).

---

(١) التيسير في القراءات السبع/٤٦

(٢) تقريب النشر/٥٥

(٣) الإتقان في علوم القرآن ج١/١٢٢

(٤) النشر في القراءات العشر ج٢/٥٤

٢ - أمالا فتحة (الكاف) (من الكافرين) و (كافرين) إذا كان بعد (الراء) (ياء) حيث وقع(١).

ج - ما أماله الكسائي :

ذكر ابن الجزري أن الكسائي أمال هاء التأنيث وماقبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا(٢) اتفق الرواة عنه على الإمالة فيها وهي : الفاء نحو : (خليفة). والجيم نحو: (وليجة). والثاء نحو: (خبيثة) والتاء نحو: (بغتة). والزاي نحو (بمفازة) والياء نحو: (زانية) والنون نحو : (زيتونة) ، والباء نحو (حبة) واللام نحو: (عيلة) والذال نحو: (الموقوذة) ، والواو نحو (أسوة) والدال نحو: (أفئدة) ، والشين نحو: (عيشة) والميم نحو: (رحمة) والسين نحو:(المقدسة).

د - ما أماله حمزة:

أمال حمزة الألف من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال(٣) هي : زاد - شاء - جاء - خاب - ران - خاف - زاغ - ضاق - طاب - حاق - حيث وقعت وكيف جاءت ف القرآن.

هـ - ما أماله أبو عمرو بن العلاء :

١ - أمال كل (راء) بعدها ألف تكتب بالياء نحو (ترى) و (افتراء)(٤).

---

(١) التيسير /٥٢

(٢) النشر في القراءات العشر ج٢ / ٨٢-٨٣

(٣) تحبير التيسير لابن الجزري /٦٩

(٤) التبصرة في القراءات السبع/٣٨٦

٢ - قرأ كل ما كان على وزن (فَعْلَى) أو (فُعْلَي) أو (فِعْلى) جمعا كان أو مفردا اتصل بمضمر أو لم يتصل نحو: (صرعى) و (زلفى) و (سيماهم) ، قرأه كله بين اللفظين إلا أن تكون فيه قبل الألف (راء) فإنه يميل نحو : (ذكرى) و (اسرى)(١).

٣ - قرأ كل آية أخرها ألف منقلبة عن (ياء) بين اللفظين نحو : (غوى) و (هوى) . وكذلك قرأ بين اللفظين كل كلمة كان فيها بعد الألف (هاء) و (ألف) إذا كانت رأس آية نحو (منتهاها)(٢).

و - ما أماله نافع :

١ - أمال نافع برواية قالون كلمة (هار) وقرأ (التوراة) بين اللفظين(٣).

٢ - قرأ نافع برواية ورش جميع ماقرأه أبوعمرو بالإمالة مافيه (راء) بين اللفظين(٤).

٣ - قرأ نافع برواية ورش كل ما كان رأس آية من ذوات الياء ماليس بعده (هاء) قرأه بين اللفظين(٥).

٤ - قرأ نافع برواية ورش (الكافرين) إذا كان بالياء بين اللفظين وكذلك قرأ (رأي) إذا لم يأت بعده ساكن(٦).

ز - ما أماله عاصم :

١ - أمال عاصم برواية حفص كلمة(مجريها) ولم يمل غيرها(٧).

---

(١) التبصرة ٣٨٧
(٢) المرجع السابق ٣٨٧
(٣) التبصرة ٣٨٩
(٤) كتاب التبصرة ٣٨٩
(٥) المرجع السابق ٣٨٩
(٦) المرجع السابق ٣٩٠
(٧) المرجع السابق ٣٩١

٢ - أمال عاصم برواية أبي بكر(١) (ولكنّ) اللّهَ رَمَى)(٢) و (جرف هار)(٣) و (أدراك وأدراكم) حيث وقع ، وأمال(أعمى - وأعمى) اللذين في سورة الإسراء(٤) دون غيرهما ، وأمال (بل ران)(٥) وأمال الراء والهمزة من (رأى) إذا لم يأت بعده ساكن نحو (رأى كوكبا) ، ويميل الراء وحدها إذا أتى بعدها ساكن من كلمة أخرى نحو : (رأى القمر).

ج - ما أماله ابن عامر:

١ - أمال ابن عامر برواية هشام كلمة (مشارب) و (آنية) و (عابد وعابدون)(٦).

٢ - أمال ابن عامر برواية ابن ذكوان كلمة (المحراب) في الموضعين من سورة (آل عمران) وسورة (مريم) وأمال (أدراك وأدراكم) حيث وقع ، وأمال كلمة: (هاد) و (التوراة) و (جاء) و (شاء) و (رأى كوكبا) - و (فزادهم الله).

د - أما القارىء ابن كثير فقد قرأ جميع ما أماله القراء السابقون بالفتح ولم يمل شيئا في القرآن.

ثانيا : اختلافهم في الإدغام :

الإدغام لغة : إدخال اللجام في أفواه الدواب ، وأدغم الفرس اللجام : أدخله في فيه ، أما تعريفه اصطلاحا: (اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا) وهذا التعريف

---

(١) التبصرة ٣٩١

(٢) سورة الأنفال آية ١٧

(٣) سورة التوبة : آية ١٠٩

(٤) سورة الإسراء آية ٧٢

(٥) سورة المطففين آية ١٤

(٦) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٥٢

هو ماعناه سيبويه بقوله : (هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لايزول عنه)(١) وينقسم الإدغام إلى كبير وصغير.

أ - الإدغام الكبير :

عرفه ابن الجزري بأنه "ماكان الأول من الحرفين فيه متحركا سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين"(٢) ولعل الذي دفعهم إلى الإدغام هو التخلص من أن تتوالى خمسة أحرف متحركة يقول سيبويه : "ومما يدل على ان الإدغام فيما ذكرت لك أحسن أنه لايتوالى في تأليفه الشعر خمسة أحرف متحركة وذلك نحو قولك : جعل لك ... والبيان في كل هذا عربي جيد حجازي(٣) والحروف المتقاربة ليست على مرتبة سواء ، فبعضها يكون فيه البيان أحسن ، وبعضها يحسن فيه الإدغام ، وبعضها يجوز فيه الإدغام والبيان ، فمثلا: الهمزة لايدغم فيها مقاربها ولا تدغم في مقاربها كما أنها لم تدغم في مثلها.

وقد علل ذلك سيبويه بقوله "لأنها - الهمزة- إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التحقيق ، لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ماقرب منها أجريت عليه وحدها، لأن ذلك موضع استثقال"(٤) ولا تدغم الألف في الهاء ولا فيما تقاربه ، ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة لأن فيهما

---

(١) سيبويه ج٤/٤٣٧

(٢) النشر في القراءات العشر ج١/٢٧٤

(٣) سيبويه ج٤/٤٣٧

(٤) المرجع السابق ج٤/٤٤٦

لينا ومدا(١) ومن الحروف حروف لا تدغم في المتقاربة وتدغم في المتقاربة وتدغم المتقاربة فيها وهي: الميم ، والراء والفاء والشين(٢) أما الحروف المتقاربة التي يدغم بعضها في بعض فقد ذكر سيبويه منها : الهاء مع الحاء والعين مع الهاء ، والعين مع الحاء ولاتدغم في العين، وتدغم العين في الخاء، والقاف مع الكاف، والكاف مع القاف، والجيم مع الشين، واللام مع الراء، والنون مع الراء،والنون مع اللام، والنون مع الميم، وتدغم النون مع الواو، والنون مع الياء، والواو مع الياء(٣).

وقد نسب الإدغام الكبير إلى أبي عمرو وحده من القراء السبعة ولم يشاركه فيه أحد منهم إلا في أحرف قليلة وافق فيها الكسائي أبا عمرو(٤) وقد اختلف الرواة في الادغام الكبير عن أبي عمرو ، فمنهم من ذكره في أحد الوجهين عنه بكماله مع جميع طرقه، وهم الجمهور من العراقيين وغيرهم، ومنه من خص به (السوسي) وحده، ومنهم من لم يذكره عن السوسي ولا الدوري بل ذكره عن غيرهما من أصحاب اليزيدي وشجاع عن أبي عمرو(٥).

وللإدغام الكبير عند أبي عمرو أحد أسباب ثلاث هي:

التماثل : وهو أن يتحد الحرفان مخرجا وصفة كالباء في الباء . والتجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجا ويختلفا صفة كالدّال في التاء، والتقارب: وهو أن يتقارب

---

(١) سيبويه ج٤/٤٤٦

(٢) سيبويه ج٤/٤٤٧

(٣) المرجع السابق ج٤/٤٤٩-٤٥٥

(٤) الإتقان في علوم القرآن ج١/١٢٥

(٥) النشر في القراءات العشر ج١/٢٧٥-٢٧٦

الحرفان مخرجا أو صفه أو مخرجا وصفه(١) ، كالتاء في الشاء ، والتاء في الطاء. ولإدغام المتماثلين عن أبي عمرو شروط(٢) هي:

أ - أن يلتقي الحرفان خطاً سواء التقيا لفظا أم لا فيدخل نحو: (إنّه هو)(٣)، ويخرج منه نحو: (أنا النذير)(٤).

ب - أن يكون الحرفان من كلمتين فإن التقيا من كلمة فإنّه لايدغم إلا في حرفين وهما (مناسككم)(٥) و (وماسلككم)(٦).

ج - ألا يكون الحرف الأول ضمير متكلم أو خطاب ، فلا يدغم نحو قوله: (كنت ترابا)(٧) ، ولا(أفأنت تسمع)(٨).

د - ألا يكون الحرف الأول مشددا فلا يدغم نحو: (مس سقر)(٩).

و - ألا يكون الحرف منونا، فلا يدغم نحو: (غفور رحيم)(١٠). وجملة ما أدغمه أبو عمرو من المتماثلين سبعة عشر حرفا(١١) وهي: الباء،التاء،والثاء،والحاء، والراء، والسين، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والهاء، والياء.

وجملة ما أدغمه من المتجانسين والمتقاربين ستة عشر حرفا(١٢) وهي: الباء، التاء، والثاء،والجيم، والحاء، والدال، والذال، والراء، والسين، والشين، والضاد، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون.

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢٧٨/١
(٢) سراج القاريء ٣٤-٣٥
(٣) الأنفال : ٦١
(٤) الحجر : ٨٩
(٥) البقرة : ٢٠٠
(٦) المدثر : ٤٢
(٧) النبأ : ٤٠
(٨) يونس : ٤٢
(٩) القمر : ٤٨
(١٠) التوبة : ٢٧
(١١) النشر في القراءات العشر ج٢٨٠/١
(١٢) المرجع السابق ج٢٨٦/١

وقد أسلفنا أن أبا عمرو لم يدغم من المتماثلين في كلمة إلا في موضعين أحدهما (مناسككم) والثاني (ماسلككم) وأظهر ما عداهما ، وكذلك لم يدغم من المتقاربين في كلمة إلا القاف في الكاف التي تكون في ضمير جمع المذكرين إذا تحرك ماقبل القاف لاغير(١) وذلك نحو (خلقكم) و (رزقكم) وشبهه وأظهر ما عداه مما قبل القاف فيه ساكن ، ومما ليس بعد القاف فيه (ميم) نحو: (ميقاتكم) و (يرزقك).

ب - الإدغام الصغير :

وهو ماكان فيه الحرف الأول ساكنا ، والذي اختلف فيه القراء من الإدغام ينحصر في: (إذ) و (قد) ولام (هل) و (بل) و (تاء التأنيث). وقد عرف بإدغام هذه الحروف من القراء السبعة أبو عمرو، وحمزة، والكسائي وسنبين ما أدغمه كل واحد منهم من هذه الحروف في غيره.

أولا : ذال (إذ) :

اختلف القراء السبعة في إدغام ذال (إذ) وإظهارها عند ستة حروف(٢) وهي: التاء، والصاد، والدال، والسين، والجيم، والزاي فأدغمها في الحروف الستة السابقة أبو عمرو وأدغمها في الدال والتاء حمزة، وأدغمها الكسائي في هذه الحروف ماعدا الجيم، وأظهرها بقية القراء.

---

(١) تحبير التيسر : ٤٦

(٢) كتاب السبعة في القراءات ١١٩-١٢٣، تقريب النشر ص٤٧

ثانيا : دال (قد) :

اختلف القراء السبعة في إدغام دال (قد) وإظهارها عند ثمانية أحرف(١) وهي الجيم، والزاي، والدال، والصاد، والضاد، والظاء، والسين، والشين فأدغمها في هذه الحروف أبو عمرو وحمزة والكسائي وأظهرها بقية القراء.

ثالثا : لام (هل) و (بل) :

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف(٢) وهي التاء، والثاء، والزاي، والسين، والضاد، والظاء، والطاء، والنون، فلام (هل) تختص (بالثاء)، ويشتركان -أي لام هل وبل- في التاء والنون، وتختص لام (بل) بالحروف الآتية وهي: الضاد، والطاء، والظاء، والزاي، والسين، فأدغم لام (هل) و (بل) في الأحرف الثمانية الكسائي ووافقه حمزة في التاء، والثاء، والسين، وأظهرها بقية القراء.

رابعاً : تاء التأنيث:

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف(٣) وهي: الثاء، والجيم، والظاء، والسين، والصاد، والزاي، فأدغمها في الحروف الستة أبو عمرو وحمزة والكسائي، وأدغمها ابن عامر في الصاد والظاء وأظهرها بقية القراء.

---

(١) كتاب السبعة في القراءات ١١٩-١٢٣ ، تقريب النشر ص٤٧

(٢) كتاب السبعة في القراءات ١١٩-١٢٣ ، تقريب النشر ص٤٩

(٣) كتاب السبعة في القراءات ١١٩-١٢٣ ، تقريب النشر ص٤٨

ثالثا : اختلافهم في (هاء) الكناية:

يقصد بهاء الكناية الضمير المكني به عن المفرد المذكر الغائب، ولهاء الكناية هذه عند القراء ثلاث حالات الأولى: أن تقع بين حرفين متحركين وفي هذه الحالة لاخلاف بينهم في صلتها بعد الضم بواو ، وبعدالكسر بياء، لأنها حرف خفي(١). الحالة الثانية: أن يقع بعدها حرف ساكن، فلا خلاف بينهم في عدم صلتها سواء كان الذي قبلها متحركاً أو ساكناً(٢). الحالة الثالثة: أن تقع بين حرف ساكن فمتحرك، وفي هذه الحالة للقراء السبعة مذهبان، فابن كثير يصل هاء الكناية إذا انضمت وسكن ماقبلها بواو نحو: (عقلوهو) وحجة ابن كثير في ذلك "أنه أتى بالهاء مع ماهو تقوية لها لخفائها، وهو الواو فجرى على الأصل في إثبات التقوية بعدها"(٣) وكذلك يصل ابن كثير هاء الكناية إذا انكسرت وسكن ماقبلها بياء نحو: (فيهي) و (أبو يهي) وحجته أيضا "أنه كسر الهاء للياء التي قبلها لخفاء الهاء، فلما كسرها ابدل من الواو التي زيدت لتقوية الهاء ياء ، إذ ليس في كلام العرب واو ساكنة قبلها كسرة"(٤) ويحذف ابن كثير تلك الصلة عند الوقف.

أما بقية القراء السبعة فإنهم يختلسون الضمة والكسرة في حال الوصل وحجتهم في حذف الواو والياء لعدم وجودهما في الخط، ولأنه الأصل وكذلك لطلب الخفة في الآراء(٥).

---

(١) إتحاف فضلاء البشر/٣٤

(٢) تقريب النشر/١٥

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ج١/٤٣

(٤) المرجع السابق ج١/٤٢

(٥) المرجع السابق ج١/٤٢

رابعاً : اختلافهم في المد والقصر :

المدُّ لغة : الجذب والمطل(١). والقصر : الحبس(٢)، أما تعريفهما اصطلاحا: "فالمدّ: هو عبارة عن زيادة مطٍ في حرف المدّ على المدّ الطبيعي وهو الذي لايقوم ذات حروف المد دونه ، والقصر: هو عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله"(٣) ولايكون المد إلا بسبب إما معنوي وإما لفظي(٤) فالسبب المعنوي هو : الذي يؤتي به لقصد المبالغة في النفي ، وقد ورد عن حمزة مد المبالغة في لا النافيةللجنس مثل: (لاريب فيه)(٥). وكذلك يؤتي به للتعظيم نحو مد: (لا إله إلا هو). والسبب اللفظي إما همزة وإما ساكن، فالهمزة إما أن تكون قبلُ، مثل : (رأى) أو تكون بعدُ(٦)، مثل: (شاء). والمد في ذلك قسمان: مد متصل وهو الذي اتصل سببه بشرطه مثل (شاء) و (سوء). ومد منفصل وهو الذي انفصل سببه عن شرطه بأن وقع حرف المد آخر كلمة والهمزة أول الأخرى نحو: (بما أنزل). والساكن إما لازما مثل (دابّة)(٧). وإما عارضا وهو الذي يعرض للوقف ونحو(٨)، مثل: (العباد) و (الرحيم).

وقد أجمع القراء على مد المتصل والساكن اللازم ولكن هناك اختلاف بينهم في قدر الممدود منهما فالجمهور من القراء على مده قدرا واحدا مشبعا وقال الآخرون

---

(١) لسان العرب ج

(٢) القاموس المحيط ج١١٧/٢

(٣) النشر في القراءات العشر ج٢١٣/١

(٤) الإتقان في علوم القرآن ج١٢٧/١

(٥) البقرة : ٢

(٦) النشر في القراءات العشر ج٣١٣/١

(٧) تقريب النشر /١٨

(٨) المرجع السابق ١٨

بالتفاوت فالطولي لحمزة ودونها لعاصم، ودونها لابن عامر والكسائي ودونها لأبي عمرو وابن كثير(١).

واختلف القراء في مد المنفصل على نحو ما هو مفصل في كتب القراءات(٢) فابن كثير يمكن حرف المد ولا يمده ، وأما الباقون فعلى المراتب الآتية الطولي لحمزة ودونه عاصم ، وابن عامر والكسائي دون عاصم ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق، وهذا كله مبني على التقريب.

أما المد للساكن العارض فإن لأهل ألاداء من أئمة القراء فيه ثلاث مراتب الأولى: الإشباع لاجتماع الساكنين اعتدادا بالعارض قال الداني: "وهو مذهب القدماء من مشيخة المصريين"(٣) - الثانية: التوسط لمراعاة اجتماع الساكنين وملاحظة كونه عارضا وقد اختار بعض أهل الأداء "لأصحاب التوسط وتدوير القراءة كالكسائي وابن عامر من مشهور طرقه وعاصم في عامة رواياته(٤) - الثالثة : القصر لأن السكون عارض فلا يعتد به، ولأن الجمع بين الساكنين مما يختص بالوقف نحو: (القدر) و (الفجر) وقد اختار بعض أهل الأداء "لاصحاب الحدر والتخفيف ممن قصر المنفصل كأبي عمرو -"(٥).

---

(١) تقريب النشر /١٨

(٢) الكافي للرعيني/١٧

(٣) النشر في القراءات العشر ج١/٣٣٥

(٤) النشر في القراءات العشر ج١/٣٣٥

(٥) المرجع السابق ج١/٣٣٥

خامسا : اختلافهم في الهمز :

أ - الهمزتان المجتمعتان من كلمة وهما على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يكونا محركتين بالفتح نحو (أأنذرتهم)، فإن ابن كثير وابا عمرو ونافعا بروايه قالون وابن عامر برواية هشام من طريق ابن عبدالله وغيره وورشا عن نافع من طريق الأصبهاني فإنهم يسهلون الهمزة الثانية بين بين، ولكن الأكثرين عن ورش على إبدالها ألفا خالصة فإذا أبدلت ألفا وكان بعدها ساكن مد الساكن مثل: (أأشفقتم) وإن لم يكن ساكنا مد قدر ألف فقط نحو: (أألد) والباقون قرءوا بتحقيق الهمزتين جميعا(١).

النوع الثاني : أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو: (أئنكم لتأتون)(٢)، فإن نافعا وابن كثير وأبا عمرو يسهلون الثانية منهما بين بين، والباقون قرءوا بتحقيقها. وفصل بين الهمزتين بألف في الجميع أبو عمرو ونافع برواية قالون، وابن عامر برواية هشام بخلاف عنه(٤).

النوع الثالث:أن تكون مفتوحة والثانية مضمومة ووردت في ثلاثة مواضع متفق عليها وواحد مختلف فيه فالمتفق عليه قوله: (قل أؤنبئكم)(٤) وقوله: (أأنزل عليه الذكر)(٥) وقوله:(أألقى الذكرعليه)(٦) فقدسهل الهمزة

---

(١) تقريب النشر ٢٣

(٢) النمل : ٥٥

(٣) تقريب النشر ٢٤

(٤) آل عمران : ١٥

(٥) ص : ٨

(٦) القمر : ٢٥

الثانية منها نافع وابن كثير وأبو عمرو والباقون قرءوها بالتحقيق. وفصل بينهما بألف أبو عمرو بلا خلاف وقالون عن نافع وهشام عن ابن عامر بخلاف عنهم(١)، أما المختلف فيه فهو قوله تعالى: (أشهدوا خلقهم)(٢) فإن نافعا قرأه بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة بين بين مع إسكان الشين ، وفصل بينهما قالون فيما يرويه عن نافع بخلاف عنه(٣).

ولعل حجة من حقق الهمزتين في قراءاته: أنه لما كانت الهمزة الأولى في تقدير الانفصال من الهمزة الثانية، والهمزة الأولى لم تكن من بنية الكلمة داخلة على الثانية التي هي من بنية الكلمة فحققوها فجاءوا بالأصل. وحجة من سهل الهمزة الثانية في قراءته أنه طلب التخفيف(٤) والبعد عن الثقل النطقي الناتج عن تكرير الهمزة.

ب - اجتماع الهمزتين من كلمتين:

أولا : أن تكونا متفقتي الحركة. وهذا القسم ثلاثة أنواع:

النوع الأول : أن تكون الهمزتان مفتوحتين نحو: (جاءَ أحدكم)(٥) فقد قرأ قنبل عن ابن كثير، ونافع برواية ورش بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، ويبدلان منها ألفا(٦). أما أبو عمرو والبَزّي بروايته عن ابن كثير وقالون بروايته عن نافع فقد قرؤا بحذف الأولى وتحقيق الثانية، فإذا وقفوا على الهمزة الأولى رجعت المحذوفة وتمكن المد(٧). أما بقية القراء السبعة فقد قرءوا بتحقيق الهمزتين حيث وقع.

---

(١) تقريب النشر ٢٧

(٢) الزخرف : ١٩

(٣) تقريب النشر ٢٧

(٤) الكشف ج١/٧٣

(٥) الانعام: ٦٢

(٦) التبصرة ٢٨٥

(٧) التبصرة/٢٨٨-٢٨٩

النوع الثاني : أن تكونا مكسورتين نحو: (من النساءِ إلا)(١) فإن ابن كثير برواية قنبل، ونافعا برواية ورش قرأ بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية يبدلانها ياء(٢). أما البزّي بروايته عن ابن كثير، وقالون بروايته عن نافع يقرآن بتسهيل الأولى، يجعلانها كالياء المختلسة الكسرة ويحققان الثانية(٣) وقرأ أبو عمرو بحذف الهمزة الأولى وتحقيق الثانية جعلها تقوم مقام الأولى(٤) وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين(٥).

النوع الثالث : أن تكونا مضمومتين : (أولياءُ أُلئك)(٦) فإن قنبلا وورش عن قارئيهما يحققان الهمزة الأولى، ويسهلان الثانية يجعلانها كالواو الساكنة(٧). أما قالون والبزي عن قارئيهما فإنهما يسهلان الأولى يجعلانها كالواو المضمومة ويحققان الثانية(٨) والباقون يحققونهما معا(٩).

ثانيا : أن تكونا مختلفتين في الحركة. وهذا القسم خمسة أنواع:

النوع الأول : أن تكون الهمزة الأولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو: (نشاءُ أنَت). الثاني: أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو (شهداءَ إذ)(١٠).

---

(١) النساء : ٢٢
(٢) التيسير في القراءات السبع/٣٣
(٣) التبصرة/٢٩٠-٢٩١
(٤) المرجع السابق/٢٩١
(٥) المرجع السابق/٢٩١
(٦) الأحقاف : ٣٢
(٧) التيسير في القراءات السبع/٣٣
(٨) المرجع السابق/٣٣
(٩) المرجع السابق/٣٣
(١٠) البقرة : ١٣٣

الثالث : أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة نحو: (جاءَ أمة)(١).

الرابع : أن تكون الأولى مكسورة والثانية مفتوحة نحو: (خطبة النساءِ أو)(٢).

الخامس : أن تكون الأولى مضمومة والثانية مكسورة نحو: (يشاءُ إلى)(٣). فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بتحقيق الهمزتين في جميع ذلك(٤) وقرأ الباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، فإن كانت مضمومة فبين الهمزة والواو، وإن كانت مكسورة فبين الهمزة والياء، وإن كانت مفتوحة قبلها ضمة أبدلت منها واوا مفتوحة، وإن كانت مفتوحة قبلها كسرة أبدلت منها ياءا مفتوحة(٥).

ج - الهمزة المفردة:

أولا : تسهيل الهمزة عند نافع:

قرأ نافع فيما يرويه عنه ورش بتسهيل الهمزة المفردة سواء سكنت أو تحركت إذا كانت في موضع الفاء من الفعل فالساكنة نحو: (يألمون) و(تأكلون) واستثنى من الثانية سائر الإيواء نحو (المأوى) و (مأواهم) وشبهه(٦) ومثال ماسهله من المتحركة: (مؤذن) و (مؤجلا) واستثنى من المتحركة قوله: (يؤوده حفظهما)(٧)، (تؤزهم أزا)(٨) وكذلك (مآب)، و (ما تأخر) و (تأذَّن) وشبهه إذا كانت صورتها ألفا فهمز جميع ذلك(٩).

---

(١) المؤمنون : ٤٤
(٢) البقرة : ٢٨٥
(٣) البقرة: ٢١٣
(٤) التبصرة : ٢٩٢
(٥) التبصرة : ٢٩٢،٢٩٣
(٦) التيسير في القراءات الشبع ٣٤-٣٥
(٧) البقرة : ٢٥٥
(٨) مريم : ٨٣
(٩) التيسير : ٣٥

ثانيا : نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها :

قرأ ورش عن نافع بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط هي من اللفظ وذلك إذا كان - الساكن غير مدّولين وكان آخر كلمة والهمزة أول كلمة أُخرى(١)، والساكن الذي ينقل إليه ورش حركة الهمزة يكون تنوينا نحو (كفواً أحد)(٢) أو يكون لام المعرفة نحو: (والأرض والآخرة) أو يكون سائر حروف المعجم نحو: (وقالت أولاهم)(٣) وإن كانت الهمزة والساكن في كلمة لم ينقل ورش حركة الهمزة إلى الساكن قبلها(٤)، نحو: (دفء)، (مسئولا) وقد خالف أصله هذا في أربعة مواضع(٥) وهي (الآن وقد كنتم)(٦) و (الآن وقد عصيت)(٧) و (ردءاً يصدقني)(٨) و (وعاداً الأولى)(٩) فانه ألقى حركة الهمزة في هذه المواضع على الساكن قبلها ووافقة أبو عمرو في (عاداً الأولى).

ثالثا : ترك الهمزة المفردة:

كان أبو عمرو برواية السوسي(١٠) إذا قرأ في الصلاة أو أدرج قراءته أو قرأ بالإدغام لم يهمز كل همزة ساكنة سواء كانت فاء أو عيناً أو لاما(١١)

---

(١) تحبير التيسير ٥٧
(٢) الصمد : ٤
(٣) الأعراف : ٣٩
(٤) تحبير التيسير : ٥٧
(٥) التبصرة : ٣٠٨-٣٠٩
(٦) يونس : ٥١
(٧) يونس : ٩٣
(٨) القصص : ٣٤
(٩) النجم :٥٠
(١٠) أنظر هامش كتاب تحبير التيسير : ص٥٨
(١١) التيسير ٣٦-٣٧

نحو : (يؤلمون) و (بئس) و (شئتم) واستثنى من ذلك خمسة أنواع همزها(١) وهي: أ- ماسكونه علامة الجزم نحو: (إن نشأ)(٢) ب- ما سكونه علامة بناء نحو: (هيءْ لنا)(٣) ج - ماترك الهمزة فيه أثقل من الهمزة نحو (تؤى) هـ - ما يكون همزه يوقع الالتباس بما لايهمز نحو: (أثاثا ورئيا)(٤). و - مايخرجهُ ترك الهمزة من لغة إلى أخرى نحو: (عليهم مؤصدة)(٥) فلو ترك همزها لأشبه أن يكون من (أوصدت) الذي لا أصل له في الهمز.

رابعا : الوقف على الهمزة المفردة:

يسهل حمزة وهشام في روايته عن ابن عامر الهمزة المتطرفة عند الوقف سواء كانت ساكنة أو متحركة ويصلان بتحقيقها(٦) فإذا سهلا الهمزة المضموم ماقبلها أبدلاها واوا سواء تحركت أو سكنت نحو: (لؤلؤا) و (امرؤ). وإذا سهلا الهمزة المكسور ماقبلها أبدلاها ياء نحو: (نبيء عبادي)(٧). وإذا سهلا الهمزة المفتوح ماقبلها أبدلاها ألفا نحو: (بدأ) فإذا كان ماقبل الهمزة ساكنا وسهلاها ألقيا حركتها على ذلك الساكن وأسقطاها إن كان الحرف الساكن أصليا غير ألف نحو: (شيء) و (سوء) و (دفء). فإذا كان الحرف الساكن زائدا للمد وكان (ياء) أو (واوا) أبدلا الهمزة مع الواو واوا ومع الياء ياء وأدغما ماقبلها فيها نحو (بريء) و (ثلاثة قروء)(٨). وإن كان الحرف الساكن ألفا سواء أكانت مبدلة من حرف أصلي

---

(١) التيسير : ٣٧

(٢) الشعراء : ٤

(٣) الكهف : ١٠

(٤) مريم : ٧٤

(٥) الهمزة : ٨

(٦) تحبير التيسير : ٦٠-٦١

(٧) الحجر : ٤٩

(٨) البقرة : ٢٢٨

أو كانت زائدة أبدلت الهمزة بعدها ألفا بأي حركة تحركت ثم حذفت إحدى الألفين للساكنين نحو: (السماء والسفهاء).

خامسا : تسهيل الهمزة المتوسطة المتحركة:

تفرد حمزة بتسهيل الهمزة المتوسطة المتحركة. وتفصيل ذلك أن الحرف الذي قبل الهمزة المتوسطة المتحركة يكون إما ساكنا وإما متحركا فإن كان الحرف الساكن أصليا وسهل الهمزة فإنه يلقى حركة الهمزةعلى ذلك الحرف الساكن ويحركه بها نحو (يسألون) و (المشأمة) ويشترط في الحرف الساكن ألا يكون ألفا. أما إن كان الحرف الساكن زائدا واوا أو ياء أبدلت الهمزة وأدغمت نحو (بريئا) و (خطيئة). فإن كان الساكن ألفا سواء كانت مبدلة أو زائدة جعلت الهمزة بعدها بين بين نحو : (نساؤكم).

وإذا ماكان قبل الهمزة حرفا متحركا فإن انفتحت الهمزة وانكسر ماقبلها أو ضم أبدلت في حالة التسهيل مع الكسرة (ياء) ومع الضمة (واوا) وذلك نحو (شانئك) و (يؤلف)، ثم بعد هذا تجعل الهمزة بين بين في جميع حركاتها وحركات ما قبلها، فإن انضمت جعلتها بين الهمزة والواو نحو: (يؤسا) مالم يكن صورتها (ياء) نحو (سيئة) فإنك تبدلها ياءا مضمومة اتباعا لمذهب حمزة باتباع الخط عند الوقف على الهمزة وإن انفتحت جعلتها بين الهمزة والألف نحو (ملجأ) وإن انكسرت جعلتها بين الهمزة والياء نحو (بئس)(١).

---

(١) تحبير التيسير ٦٣/٦١

وهذا الذي ذكرناه من أصولهم في الإمالة والإدغام وهاء الكناية والمد والقصر والهمز إنما راعينا فيه الاختصار لإعطاء القاريء فكرة مقتضبة عن أصول القراءة عند القراء السبعة ومن يريد المزيد في هذا الباب فليرجع إلى الكتب المتخصصة في هذا الشأن(١) والتي تتناوله بالتفصيل والتوضيح.

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ، الكشف عن وجوه القراءات لمكي ، النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

الباب الرابع
موقف النحويين من القراءات

الفصل الأول
ذكر القراءات التي ردها بعض النحويين

الفصل الثاني
أسباب رد القراءات

الفصل الأول

ذكر القراءات التي ردها بعض النحويين

لا يرتاب أحد في فصاحة القرآن وسلامته من اللحن فهو نزل بأفصح اللغات والكلام إذا كانت هذه سمته جدير بأن يقدم على غيره خاصة في ميدان البحث اللغوي والنحوي على السواء، وقد جعل القرآن حقيقة مصدرا من مصادر هذين العلمين وقد اهتم المسلمون بقراءاته التي أصبحت علما له علماؤه ومنهجه القائم علي النقل والرواية، أكثر من كونه قائما على العقل والدراية، ولكن هذه القراءات التي صح سندها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهي التي أجمع السلف على أنها سنة لاتخالف. أقول هذه القراءات الصحيحة ماموقف النحويين منها؟

ذكر السيوطي في كتابه (الاقتراح) أنه كلما "ورد أنه قريء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا"(١) ولكن النص الذي ذكره السيوطي يبدو أنه يخالف الواقع النحوي فالمطلع على الأسفار التي دونت في علم النحو يجدها غير مطابقة لهذا الزعم فكم من قراءة ردت أو ضعفت أو شذذت أو رجحت على مخالفاتها، أو لحن قارئها، أو أتهم راويها بالوهم "الذي لايتعرى منه ولد آدم(٢) فيما زعموا، غير أن هذا لم يكن عاما بين النحاة.

وردُّ بعض القراءات الصحيحة تهمة يحاول أن تثبت في حق فريق وتنفي عن الآخر ، أو تلحق في حق شخص وتنفي عن صاحبه، ومما يؤسف له أن البحث في ميدان موقف النحويين من القراءات عند بعض المعاصرين. اتخذ هذا الطابع طابع العصبية المذهبية فتوقفت دراستهم عند السطح ولم يفتح لها الباب إلى

---

(١) الاقتراح في علم أصول النحو: ص٤٨

(٢) رسالة الملائكة، لأبي العلاء المعري، تحقيق محمد سليم أفندي، ص٩٥

العمق فشوقي ضيف يدعى أن "ليس في كتاب سيبويه تخطئة واحدة لقراءة من القراءات مع كثرة ما استشهد به منها وقد صرح بقبولها جميعا"(١) فهو إذن ينفي التهمة عن سيبويه ليثبتها في حق الكسائي يقول "ويظهر أن الكسائي هو الذي بدأ تخطئة القراء إذ نرى الفراء يتوقف في كتابه. (معاني القرآن) مرارا ليقول إن الكسائي كان لايجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك"(٢) وقد وقفت خديجة الحديثي موقف شوقي ضيف نفسه في نفي رد سيبويه للقراءة(٣). وبعد أن نفى شوقي ضيف رد القراءة عن سيبويه عاد مرة أخرى فأثبتها في حق بصري القرن الثالث "فهم الذين طعنوا في بعض القراءات وهي أمثلة قليلة لايصح أن يتخذ منها ظاهرة"(٤) وبجانب هذا نري مهدي المخزومي ينص على أن "القراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي. ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم"(٥) وفي الجانب الآخر يرى أن الكوفيين "كانوا يجيزونها ويحتجون بها"(٦) وبجانب هذا نجد باحثا آخر يقول "وبصفة عامة نالت القراءات عناية القراء والنحويين ملتمسين الاحتجاج بها معتمدين على قياس ، أو تخريج واستشهاد حتى أصبح الاحتجاج للقراءات ميدانا للدراسة يراد به توثيق القراءات ونفي الشبهة عنها والشك في سلامتها"(٧).

---

(١) المدارس النحوية ، شوقي ضيف ص ١٥٧

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧

(٣) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، خديجة الحديثي ص ٥٠،٥١،٥٩

(٤) المدارس النحوية شوقي ضيف ص ١٩

(٥) مدرسة الكوفة مهدي المخزومي ٣٨٤

(٦) المرجع السابق ٣٨٤

(٧) عصور الاحتجاج في النحو العربي ، محمد إبراهيم عباده ج١ ص ١٤٢

وما قاله هؤلاء الباحثون في موقف النحويين من القراءات أمر مرفوض - مع احترامنا الشديد لهم - ولعل رفضنا يصدر من أربعة منطلقات هي:

أولاً : أن الأحكام التي أطلقوها أحكاما عامة ينقصها التحديد والدقة وهذه الأحكام العامة لم تفد في هذا المجال في قليل أو كثير.

ثانياً : أن هذه الأحكام خرجت من الحيز العلمي وأخذت تدور في فلك العصبية المذهبية. إذ نفي تهمة ردّ القراءات عن سيبويه وإلحاقها بالكسائي أو غيره كما أن نفي التهمة عن البصريين وتسجيلها في سجل الكوفيين كل هذا لايفيد البحث العلمي في شيء بل يجعله جامدا لايتقدم خطوة بل يرجع خطوات إلى الوراء.

ثالثاً : أن نظرة هؤلاء الباحثين اقتصرت على فترة زمنية محدودة فهي توقفت عند نحاة البصرة نحاة الكوفة ولم تتعداها إلى غيرهما.

رابعاً : إنّ هؤلاء الباحثين مع كعبهم في ميدان البحث - لم يقوموا بالاطلاع الذي يتسم بالشمول على التراث النحوي إنما اكتفوا بالنظرة الخاطفة فلو وسّعوا الاطلاع لما أصدروا كثيرا من أحكامهم التي أطلقوها والتي عرضنا لها آنفا.

هذا ومن خلال اطلاعنا على الكتب النحوية التي امتدت على مساحة مكانية وزمانية حتى عصر السيوطي وكذلك على الكتب التي تناولت القراءات وخاصة كتب التفسير لعل من خلال هذا الاطلاع ننبه إلى أن رد بعض القراءات الصحيحة ظاهرة تكاد تنتظم كثيراً من النحاة وتكاد تتلاشى عند النحاة المتأخرين وخاصة عند ابن مالك وأبي حيان وابن هشام ومن المفيد في هذا المجال أن نذكر بعضا من القراءات التي ردها النحاة المتقدمون على اختلاف أزمانهم ولعل هذه النظرية الشاملة تعطي

تصورا عاما لموقف النحويين من القراءات على حين قصر رد القراءة على الأشخاص أو على مدرسة البصرة أو الكوفة - تخلق لدى القاريء تصورا جزئيا لموقف محصور في شخص أو مدرسة.

ومن القراءات التي ردها بعض النحاة المتقدمين:

١ - قرأ محمد بن مروان المدني (هن أطهر لكم)(١) بنصب(٢) (أطهر) فقال أبو عمرو بن العلاء في هذا (احتبى ابن مروان في هذه باللحن)(٣). وقرأ أبوجعفر وشيبة (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون)(٤) فنصبا (قوما) فقال أبو عمرو قراءتهما لحن ظاهر (٥).

٢ - قرأ ابن عامر بنصب(٦) (كن فيكون)(٧) - فقال سيبويه "وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر وهو ضعيف في الكلام(٨) وقرأ نافع بتحقيق الهمزة في نبيء وبريئة فقال سيبويه "وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق - يحققون نبيء وبريئة وذلك قليل رديء وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص(٩) (سواءً محياهم)(١٠) بالنصب فقال سيبويه "واعلم أن ما كان في النكرة رفعا غير صفة فإنه رفع في المعرفة من ذلك قوله عز وجل (سواء محياهم) ... ومن أجرى هذا على الأول فإنه ينبغي له أن ينصبه في المعرفة.... وهي لغة رديئة"(١١).

---

(١) سورة هود آية ٧٨
(٢) البحر المحيط ج٥/٢٤٧
(٣) الكتاب ج١ ص ٣٩٧
(٤) سورة الجاثية آية ١٤
(٥) القرشبي ج١ ص ٣٩٧
(٦) النشر لابن الجزري ج٢ ص ٢٢٠
(٧) سورة يس آية ٤٠
(٨) الكتاب ج١ ص ٤٢٣
(٩) النشر لابن الجزري ج٢ ص ٣٧٢
(١٠) الجاثية آية ٢١
(١١) الكتاب ج١ ص ٢٢٣

٣ - قرأ الحسن (فبذلك فليفرحوا هو خير)(١) بتاء الخطاب وكسر لام الأمر(٢) وهي قراءة أبي عن الرسول صلى الله عليه وسلم(٣) وكان الكسائي يعيب هذا الحرف "لأنه وجده قليلا فجعله عيبا"(٤) وقرأ ابن عامر (كن فيكون) بالنصب في النحل(٥) وفي يس وبقية القراء بالرفع وكان "الكسائي لايجيز الرفع فيهما ويذهب إلى أن النسق(٦). وقال خلف بن هشام البزار "سمعت الكسائي يقول من قرأ (قد سمع)(٧) فيبين الدال عند السين فلسانه أعجمي ليس بعربي(٨) والإدغام قراءة أبي عمرو وحمزة والغريب أن الجزري أضاف إليهما الكسائي(٩).

٤ - وقرأ ابن عامر بتحقيق الهمزتين(١٠) في قوله "سواء عليهم أأنذرتهم"(١١) قال الأخفش "قرأها قوم مهموزتين جميعا.. وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذا"(١٢) وقرأ المدنيان وابن ذكوان(١٣) (فدية طعام مسكين)(١٤) (فدية) بغير تنوين (طعام) ، بالخفض فقال الأخفش "وهذا اليس بالجيد"(١٥) - وقال في قوله تعالى (اشتروا الضلالة)(١٦).

---

(١) يونس : ٥٨
(٢) القراءات الشاذة ، عبد الفتاح القاضي ٥٣
(٣) النشر ج٢ ص٢٨٥
(٤)معاني القرآن للفراء ج١ ص٤٦٩-٤٤٧
(٥) النحل آية ٤٠
(٦)معاني القرآن للفراء ج١ ص٧٤-٧٥
(٧) الجادلة آية ١
(٨) البحر المحيط ج٨ ص٢٣٢
(٩) النشر ج٢/٣-٤
(١٠) حجة القراءات لأبي زرعة/٨٦
(١١) البقرة آية ٦
(١٢)معاني القرآن للأخفش ج١ ص٤٢
(١٣) النشر ج٢ ص٢٢٦
(١٤) البقرة آية ١٨٤
(١٢)معاني القرآن للأخفش ج١ ص١٥٨
(١٦) البقرة آية ١٦

"لما وجدوا حرفا ساكنا قد لقي ساكنا كسروا مايكسرون في غير هذا الوضع وهي لغة شاذة"(١).

٥ - قرأ حمزة(٢) (إلا أن يخافا)(٣) قال الفراء "ولا يعجبني ذلك.(٤) وقرأ حمزة كذلك(٥) (تساءلون به والأرحام)(٦) بخفض (الأرحام) فقال الفراء "وفيه قبح لأن العرب لاترد محفوظا على محفوظ وقد كنى عنه"(٧).

٦ - قرأ أبو عمرو ونافع (وأنه أهلك عاداً الأولى)(٨) - بإدغام التنوين في اللام من "الأولى بعد حذف الهمزة وإلقاء حركتها على لام التعريف قبلها"(٩) وقد عاب هذه القراءة أبو عثمان قال (أساء عندي أبو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة ، واللام إنما تحركت بحركة الهمزة وليس بحركة لازمة"(١٠).

٧ - قرأ حمزة والكسائي (ثلاثمائة سنين)(١١) مضافا بغير تنوين(١٢) وقد خطأ هذه القراءة المبرد قال: (وقد قرأ بعض القراء بالإضافة فقال (ثلثمائةسنين) وهذا خطأ في الكلام غير جائز)(١٣) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش (ثم ليقطع فينظر..)(١٤) بكسر اللام في قوله (ليقطع) وقرأها الباقون

---

(١٢)معاني القرآن للأخفش ج١ ص٤٥
(٢) النشر ج٢ ص٢٢٧
(٣) البقرة آية ٢٢٩
(٤)معاني القرآن للفراء ج١ ص١٤٥
(٥) النشر ج٢ ص٢٤٧
(٦) النساء آية ٢٣١
(٧)معاني القرآن للفراء ج١ ص٢٥٢
(٨) النجم / ٥٠
(٩) الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ج٢ / ٧٧٥
(١٠) حجة القراءات لأبي زرعة/٦٨٧
(١١) الكهف / ٢٥
(١٢) الإقناع في القراءات السبع ج٢ / ٦٨٩
(١٣) المقتضب ج٢ ص ٤٥٣
(١٤) الحج / ١٥

بالسكون(١) فقال المبرد : فإن الإسكان في لام "فلينظر" جيد وفي لام (ليقطع) لحن. لأن "ثم" منفصلة من الكلمة(٢).

٨ - قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة (يؤده إليك)(٣) بإسكان هاء (يؤده)(٤) فقال الزجاج في هذه القراءة: (وهـذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين الهـاء لاينبغي أن يجزم وإذا لم يجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل)(٥).

٩ - قرأ ابن عامر (أيه المؤمنون)(٦) و (أيه الثقلان)(٧) (يأيه الساحر)(٨) بضم الهاء(٩) وقد شذذ النحاس هذه القراءة قال: (وحكى الكسائي "أيه المؤمنون" بضم الهاء وهذه لغة شاذة لا وجه لها لأن ها للتنبيه)(١٠) وقرأ حمزة وابن عامر (ولا تحسبن الذين كفروا)(١١) بالياء وقال عنها النحاس (وماعلمت أحداً من أهل العربية واللغة بصريا ولاكوفياً إلا وهو سيحظر أن تقرأ هذه القراءة)(١٢).

١٠ - وقـــرأ ابن عامر (زين لكثـــير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)(١٣) بنصـــب أولادهم "وجـــر (شركاؤهم)(١٤) فقال عن هذه القراءة ابن خالـــويه (الحجة لمن قرأه بضـــم

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة/٤٧٣
(٢) المقتضب ج٢ ص ٤١٦
(٣) آل عمران / ٧٥
(٤) حجة القراءات لأبي زرعة/١٦٦
(٥) البحر المحيط ج٢/٤٩٩
(٦) النور ٣١
(٧) الرحمن ٣١
(٨) الزخرف ٤٩
(٩) الكشف ج٢ / ١٣٧
(١٠) إعراب القرآن ج٢/٤٣٩
(١١) النور ٥٧
(١٢) إعراب القرآن ج٢/٤٥٢
(١٣) الأنعام ١٣٧
(١٤) الكشف ج١/٤٥٣

الزاي : أنه دل بذلك على بناء الفعل لما لم يسم فاعله ورفع به القتل. وأضافه إلى "شركائهم" فخفضهم ونصب (أولادهم) بوقوع القتل عليهم وحال بهم بين المضاف والمضاف إليه وهو قبيح في القرآن)(١).

١١ - قرأ حفص (وقيل من راق)(٢) بإظهار النون إعلاما أن "من" منفصلة من الراء(٣) فقال عن هذه القراءة ابن جني: (فأما قراءة عاصم.. ببيان النون من "من" فمعيب في الإعراب معيف* في الأسماع وذلك أن النون الساكنة لاتوقف في وجوب إدغامها في الراء..)(٤).

١٢ - قرأ ابن كثير (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا..)(٥) بإسكان الراء(٦) فقال الزمخشري عنها: (وقريء وأرنا "بسكون الراء وقد استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف)(٧).

١٣ - قرأ ابن كثير "لاريب فيهي"(٨)بإثبات الياء في "فيهي"(٩) فقال ابن الأنباري في هذه القراءة (وقراءة من قرأ(فيه)-بكسر الهاء من غير ياء - أوجه من قراءة من قرأ "فيهي"(١٠)وقرأ قنبل(من يتقي ويصبر)(١١)بإثبات

---

(١) الحجة في القراءات السبع / ١٥٠-١٥١

(٢) القيامة ٢٧

(٣) حجة القراءات ٧٣٧

(٤) الخصائص ج١ / ٩٤

(٥) البقرة ١٢٨

(٦) حجة القراءات ١١٤

(٧) الكشاف ج١ / ٣١١

* يقصد بكلمة (معيف) مكروه،انظر مادة (عاف) القاموس المحيط ج٣/١٨٥

(٨) البقرة ٢

(٩) النشر في القراءات العشر ج٢

(١٠) البيان ج١/٤٥

(١١) يوسف/٩٠

الياء في "يتقي"(١) فقال عنها ابن الأنباري: (فهي قراءة ضعيفة في القياس(٢).

٤ - ضعّف العكبري قراءة أبي عمرو وحمزة وأبي بكر (يؤده إليك) بإسكان الهاء فقال: (والثالثة -أي القراءة الثالثة- إسكان الهاء، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف وهو ضعيف، وحق هاء الضمير الحركة وإنما تسكن هاء السكت)(٣) وقد ذكرنا من قبل في صفحة (١٠٧) أن الزجاج ضعف هذه القراءة.

ولعلنا بعد العكبري لانكاد نعثر على نحوي ضعف قراءة سبعية بل أنهم وقفوا مدافعين عن هذه القراءات التي ضعفها بعض المتقدمين وفي ذلك يقول السيوطي:(كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزةوابن عامر قراءات بعيدة في العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك،فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها وثبوت ذلك دليل على جواز في العربية وقدردالمتأخرون منهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبغ رَدّ،واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية وإن منعه الأكثرون مستدلا به)(٤)وقدوقف أبوحيان موقف ابن مالك في الدفاع عن القراءات المتواترةحتى الشاذ منها فقد قرأالأعرج وزيد ابن على والأعمش وخارجة بن نافع وابن عامر في روايةقوله تعالى:(وجعلنا لكم فيها معايش)(٥)بهمزمعائش

---

(١) النشر ج٢/

(٢) البيان ج٢/٤٤

(٣) إملاء ما من به الرحمن ج١/١٤٠

(٤) الاقتراح/٤٩

(٥) الحجر ٢٠

فقال فيها المازني (أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا)(١) فدافع عنها أبو حيان بقوله: (ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة، وقال الفراء ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعلية فيشبهون مفعلة بفعلية... وأما قوله أن نافعا لم يكن يدري ماالعربية فشهادة على النفي ولو فرضنا أنه لايدري ما العربية وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى المتكلم بلسان العرب فهو لايلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك)(٢) وهذا الموقف من أبي حيان في وجه من يضعف قراءة نجده يتكرر في كتابه "البحر المحيط" مدافعاً عن القراءات والقراء.

---

(١) البحر المحيط ج٤/٢٧١

(٢) المرجع السابق ج٤/٢٧١-٢٧٢

الفصل الثاني

أسباب رد القراءات

لعلك أيها القاريء عرفت في الفصل الأول من هذا الباب بعض القراءات التي ردها بعض النحويين المتقدمين. وعندي أن هذا الموقف لاينفصل عن الحياة الفكرية التي سادت العالم الإسلامي، كما أنه يخضع خضوعا قويا للمنهج النحوي الذي اتبعه النحاة في تقعيد قواعدهم، وتقنين نظرياتهم، ولعل الحياة الفكرية والمنهج النحوي هما السبب البين وراء رفض كثير من متقدمي النحاة لبعض القراءات القرآنية.

أولا : الحياة الفكرية السائدة:

ماكاد الإسلام يستقر في البلاد المفتوحة كالشام، والعراق، ومصر وغيرها حتى بدأ التزاوج والامتزاج بين العرب الفاتحين وبين أهل البلاد الأصليين وهذا الامتزاج ساعد عليه طبيعة الإسلام نفسه وهي التسوية التامة بين أتباعه سواء أكانوا عربا أم عجما، وهؤلاء الداخلون في الإسلام أمم لها موروثها الحضاري وتراثها الفكري، فحدث التفاعل بين الموروث الحضاري والتراث الفكري لهذه الأمم وبين التراث الإسلامي فنشأت المذاهب الكلامية كالإرجاء، والاعتزال وتبلورت مذاهب الشيعةومذاهب الخوارج وازداد هذا التفاعل بين التفكير الإسلامي والموروث الأجنبي "بعد اتساع حركة النقل من اليونانية خاصة ومن الهندية والفارسية أيضا.... فبدأ التنظيم الصناعي في الفكر الإسلامي"(١) ولعل أهم صفة تمتاز بها الحياة الفكرية السائدة في ذلك العصر هي الحرية التي دعت "الكثيرين من أبناء الأمم المغلوبة إلى عرض آرائهم ومعتقداتهم بل إلى مناقشة المسلمين في عقائدهم"(٢)

---

(١) تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فروخ ص٢٤ -دار العلم للملايين- بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار ص٢ - دار المعارف بمصر عام ١٩٦٥م.

ولم تكن هذه الحرية الفكرية حكرا على الأمم المغلوبة بل كانت كذلك حقا يتمتع به أبناء الإسلام فكل منهم يقول ويعتقد بحرية مايراه صوابا بل يدافع عما يراه حقا وصوابا وخير مثال على ذلك (معبد الجهني الذي كان قدريا وقد راعت آراؤه في القدر (الجهم بن صفوان) الذي كان جبرياً، فقام يعارضه ويدعو لاعتناق الجبر المطلق)(١) وكذلك المعتزلة وآراؤهم في الأسماء والصفات، ومرتكب الكبيرة.

ومما يؤكد هذه الحرية الفكرية أن الدولة لاتقاوم الحركات إلا إذا رأت في هذه الحركات خطراً مباشرا على وجودها أو نفوذها، من أجل ذلك رأينا دولا كثيرةتشجعت أنصار حركة ماثم قلبت لها ظهر المجن(٢) فالمعتزلة لم يلقوا قبولا من المنصور ولا من ابنه المهدي ولكن لقى نفر من المعتزلة حظوة في بلاط الرشيد وفي مناصب الدولة(٣) وعندما نشبت الفتنة بين الأمين والمأمون تقلص نفوذ المعتزلة ثم تعرض المعتزلة أنفسهم للاضطهاد والقتل، ولما صفا الملك للمأمون قربهم إليه وفي أيامه وأيام المعتصم والواثق زاد عددهم لأن الدولة كانت دولتهم(٤) حتى جاء المتوكل (فأعلن سنة ٢٣٤هـ إبطال القول بخلق القرآن)(٥) فتقلص بذلك نفوذ المعتزلة. وقد ألقت هذه الحرية الفكرية ظلالها على العلوم الدينية واللغوية والنحوية والفلسفية والطبيعية وقد مارس النحاة القدامى هذا الحق فعبروا عن آرائهم بصراحة فقبلوا من

---

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص٧٤

(٢) تاريخ الفكر العربي ، عمر فروخ ص٢٨٨

(٣) المرجع السابق ص٢٨٩

(٤) ضحى الإسلام أحمد أمين ج٣ ص٩٣

(٥) ضحى الإسلام أحمد أمين ج٣ ص١٩٨

القراءات مارأوه صوابا متفقاً مع قواعدهم التي يعتقدون صحتها، كما أنهم ردوا من القراءات مارأوه مخالفا لقواعدهم فوصفوه بالضعف أو بالخطأ أو باللحن أو الشذوذ، أو بالقبح أو بالرداءة، أو بالقلة، أو بالندرة بل تارة يفضلون قراءة على أخرى لا فرق عندهم بين قراءة سبعية أو غيرها وربما بلغ بهم الأمر أن يرموا القاريء أو الرواي بالوهم، وعدم الضبط، وقلة الدراية، وهذا الإقدام على رد القراءة التي صح سندها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحدث إلا في ظلالة حرية فكرية يعبر فيها الأفراد عن آرائهم بكل صراحة وبكل وضوح

ومما يؤكد أن الحرية الفكرية كانت من الأسباب التي جعلت النحاة الأقدمين يقدمون على رد القراءة الصحيحة هو أن معظم النحاة الأقدمين كانوا من المعتزلة أو من أهل الكلام الذين مرنوا على الجدل، فالأخفش كان "أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل وكان غلام أبي شمر وكان على مذهبه"(١) والفراء (متكلما-يميل إلىالاعتزال، وكان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة)(٢) وابن السراج يجتمع بالفارابي "فيقرأ عليه صناعة المنطق"(٣) أما أبو عثمان المازني فكان "إماميا يرى رأي ابن ميتم، ويقول بالإرجاء، وكان لايناظره أحد إلا قطعه، لقدرته على الكلام"(٤) وذكر أبو الفتح منصور بن المعذر النحوي جماعة من المعتزلة

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ج٢ ص٣٩

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج٢٠ ص١١

(٣) عيون الأبناء في طبقات الأطباء لابن أبي اصبيعة ج٣ ص٢٢٧

(٤) معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ج٧ ص١٠٨

النحويين "فذكر أبا سعيد السيرافي. وأبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهم"(١) وكان ابن جني تلميذ أبي علي الفارسي معتزليا(٢) وقد استشف أبو حيان من تفسير ابن كيسان أنه كان معتزليا(٣) وأما الزمخشري فكان معتزليا قويا في مذهبه(٤).

ويمتاز المعتزلة بأنهم نقلوا كل شيء إلى دائرة العقل والنظر فسلطوا على الأشياء عقولهم وجرءوا على مالم يجرأ عليه غيرهم فأداهم في كل مسألة إلى رأي. أما المسائل التي لاتتفق وآراءهم فيؤولونها فكان التأويل من أهم مايميز المعتزلة وأهل الكلام عامة(٥) وتحكيم العقل والجرأة جعلت كثيرا من النحاة المعتزلة يقفون حيال القراءة الصحيحة فإذا كانت تتفق مع قواعدهم قبلوها وربما استشهدوا بها، وإذا لم تتفق مع القاعدة حاولوا أن يجدوا لها تأويلا وإنما "لجأوا للتاويل والتعليل ليردوا هذه المسائل الخارجة إلى قواعدهم، ومن أجل ذلك أفادوا من منهج القياس القائم على التعليل وهو منهج المتكلمين الذين يحرصون على الأخذ بالعلل والأسباب وهكذا طرحوا الشيء الكثير مما لم يروا له وجها في قواعدهم فتأولوا ما وسعهم التأويل وحملوا على الخطأ مالم يستطيعوا رده إلى وجه. كما فعلوا في تخطئة جماعة من أهل القراءات(٦) "فتسليط العقل على الأشياء والجراءة في الحكم

---

(١) معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ج٣ ص٢٤٤

(٢) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ج١ ص١٠

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص٣٨٦

(٤) بغية الوعاة للسيوطي ج٢ ص٢٧٩

(٥) ضحى الإسلام ، أحمد أمين ج٣ ص ١٥-١٦

(٦) النحو العربي نقد وبناء ، ص ٣٦-٣٧

والإقدام على التأويل لم يكن ليحدث شيء منها مالم يكن هناك حرية فكرية يتنفس فيها العقل ويصدع بما يراه صوابا ويرد مايراه خطأ.

ثانيا : المنهج الذي اتبعه النحاة في قواعدهم:

تعد بداية النصف الثاني للقرن الثاني الهجري بداية التفاعل الحقيقي بين الفكر العربي الإسلامي وبين غيره بصورة عامة وبين الفكر الإغريقي في مجال الفلسفة والمنطق بصورة خاصة وكانت البذرة الأولى لنموالمنطق اليوناني في العالم الإسلامي مدينة البصرة "التي كانت حينئذ مركزا كبيرا لفلاسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الأرسطي في اتجاهاتهم الكلامية"(١). وبجانب هذا فإن مدينة البصرة تعد هي السابقة في وضع علم النحو الذي وضعت بداياته الأولى على يد أبي الأسود الدؤلي، ثم نمت هذه البدايات على أيدي الذين جاءوا من بعده كابن أبي إسحاق الحضرمي، ثم تلميذاه عيسى بن عمر وأبو عمر بن العلاء ثم على يد تلميذي عيسى بن عمر، الخليل بن أحمد، ويونس ابن حبيب. ولعل ظهور هؤلاء الأعلام في مدينة البصرة هو الذي جعل ابن سلام الجمحي يقول: "وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية"(٢).

وإذا كان المنطق اليوناني أول ماعرف في مدينة البصرة. والنحو نشأ وترعرع حتى استوى على سوقه في البصرة أيضا، فلا ريب أن يكون المنهج النحوي قد تأثر بالفكر الإغريقي بمعطياته الميتافيزيقية وقوانينه المنطقية ومن

---

(١) المدرسة النحوية في مصر والشام ، عبد العام سالم مكرم ص٦٩

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ج : ص١٢

الجائز عقلا أن النحاة الأقدمين وخاصة البصريين وعلى رأسهم سيبويه "لم يكونوا في معزل عن هذا التيار الجارف تيار الفلسفة والمنطق فتأثروا به"(١) وليس غريبا أن يسمى "نحاة البصرة (أهل المنطق) تميزا لهم عن نحاة الكوفة"(٢). غير أن تأثر المنهج النحوي بالمنطق اليوناني بدأ ضعيفا ثم مالبث أن أخذ في الزيادة والنمو حتى بلغ مرحلة "التبعية الكاملة للمنطق. والخضوع المطلق له في كافة البحوث النحوية في المنهج الكلي الذي تتبعه، والتفاصيل الجزئية التي يتفرع إليها هذا المنهج"(٣) وتظهر تبعية المنهج النحوي للمنطق اليوناني في مجال الأقيسة، والحدود، والتعليل، وطرد الأحكام. ولعل تأثير أصول المنطق اليوناني كان وراء رد القراءات الصحيحة أو قبولها، وأخذ المنهج النحوي بالقياس المنطقي بالذات وتطبيقه على القراءات الصحيحة هو الذي جعل النحاة القدامى يرفضون القراءة أو يقبلونها وهذا مايجعلنا نقف عند هذا الأصل دون غيره من الأصول النحوية.

إن استخدام القياس في النحو قديم، تعود بدايته إلى أبي الأسود الدؤلي "فهو أول من أسس العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع قياسها"(٤)، وتعود كذلك إلى عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي "مد القياس وشرح العلل"(٥) وليونس بن حبيب "قياس في النحو ومذاهب تفرد بها"(٦) والنحو عند الكسائي

---

(١) المدرسة النحوية في مصر والشام، عبد العال سالم مكرم ص٦٩

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ت.ج.دي بور ص٥٥

(٣) تقويم الفكر النحوي ، علي أبو المكارم ص ٩٣

(٤) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، ج١ ص١٢ مطبعة المدني-القاهرة.

(٥) طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص٢٥

(٦) بغية الوعاة للسيوطي ج٢ ص٣٦٥

"قياس يتبع"(١) وكان أبو علي الفارسي يقول "أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطيء في واحدة في القياس"(٢) والنحو عند ابن الأنباري كله قياس.. فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو"(٣).

ولكن هذا القياس الذي استخدمه النحاة هل هو نوع متفرد خاص بالنحو ابتكره النحاة أم أنه منتزع من علم آخر؟ قدمنا آنفا أن المنهج النحوي تأثر كغيره من العلوم بالمنطق اليوناني الذي نقل إلى اللغة العربية في مدينة البصرة وبغداد، ولكي يزداد الأمر وضوحا لابد من وقفة عند القياس المنطقي والقياس النحوي.

حدد أرسطو القياس المنطقي بقوله "إنه قول مؤلف من أقوال إذا سلمت لزم عنها بذاتها قول آخر اضطرارا"(٤) وعرف ابن سيناء القياس بأنه "قول ما إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم من تلك الأشياء الموضوعة بذاتها لا بالعرض شيء آخر غيرها من الاضطرار"(٥) فالقياس المنطقي إذن من خلال التعريفين يتكون من مقدمتين بينهما حد مشترك يسمى الحد الأوسط وغير مشترك يسمى الطرفين، ومن غير المشترك تتكون النتيجة. والمقدمتان اللتان يعتمد عليهما القياس إما صغرى أو كبرى، ولايشترط في القياس المنطقي أن تكون جميع مقدماته مسلماً بها كما يفهم

---

(١) معجم الأدباء ج٣ ص ١٩١

(٢) الخصائص لابن جني ج٢ /٨٨

(٣) لمع الأدله في أصول النحو ، لابن الأنباري ص٩٥

(٤) المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضر، علي سامي النشار ص٣٦٠ ج٢١ منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٦٣م.

(٥) الشفاء ، المنطق ٤ – القياس، ابن سيناء، تحقيق سعيد زايد ص ٥٤ القاهرة المطابع ألاميرية ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

من قول أرسطو (إذا سلمت) ويتسم القياس المنطقي إلى جانب ذلك بسمتين إحداهما : الميتافيزيقية وتتضح هذه السمة "أولا في الاعتداد بالقياس إلى حد جعله الأسلوب الوحيد للاستدلال الصحيح... ثم في تفضيل الاستنباط القياسي مع أنه لا سبيل إلى الاستدلال عليه وإثبات صحته في أحيان كثيرة إلا بالاستقراء"(١) أما السمة الثانية للقياس المنطقي فهي الصورية "فالمنطق القياسي منطق صوري، يختص بالشكل، والشكل وحده"(٢) وصورية القياس المنطقي جعلت مستخدمه يحمل شيئا على شيء لوجود الحد الأوسط بينهما كما يبينه المثال الآتي (سقراط إنسان وكل إنسان فان .·. سقراط فان) ويمكن أن نستبدل هذه المقدمات برموز أو حروف ، مثل ج = ب ، و ب =- د .·. ج = د.

وإذا تركنا القياس المنطقي إلى القياس النحوي فقد أورد له ابن الأنباري(٣) تعريفات متقاربة فهو (حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع) أو هو (إلحاق الفرع بالأصل بجامع) وقيل (هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع) وللقياس أربعة أركان "أصل: وهو المقيس عليه، وفرع: وهو المقيس، وحكم، وعلة جامعة"(٤) وذلك مثل أ؛ تركب قياسا في الدلالة على رفع مالم يسم فاعله فتقول : اسم أسند الفعل إليه مقدما عليه فوجب أن يكون مرفوعا قياسا على الفاعل، فالأصل هوالفاعل والفرع هو مالم يسم فاعله والعلة الجامعة

---

(١) تقويم الفكر النحوي علي أبوالمكارم ص ١٠٩

(٢) المنطق الصوري ، علي سامي النشار ص ٣٥٥

(٣) لمع الادلة في أصول النحو، لابن الأنباري ص ٩٣

(٤) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٩٦

هي الإسنادوالحكم هو الرفع. والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل وإنما أجرى على الفرع الذي هو مالم يسم فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد(١) ولعل من خلال تعريف القياس عند النحاة وكذلك أركانه تظهر لنا بوضوح شكلية القياس النحوي وخاصة في تحليل المقيس فالنحاة يلحقون مايشاءون من الأحكام بما يشاءون منها، ويعتبرون مايلحقون به أصلا وما يلحقونه فرعا. ففي المثال السابق الأصل هو الفاعل والفرع هو نائب الفاعل والحكم هو الرفع. فالقياس النحوي لم يبدأ مما كان ينبغي أن يبدأ منه بتصنيف الظواهر وتحديد علاقاتها لاكتشاف مقوماتها وبلورة خصائصها وإنما بدأ بنقل الحكم من ظاهرة إلى أخرى بتطبيق القواعد الشكلية للإلحاق فقفز إلى النتائج دون أن يلم بالمؤثرات الموضوعية التي أسلمت إليها(٢). وتظهر شكلية القياس النحوي في المقيس عليه ففي القياس النحوي ليس من شرط المقيس عليه (الأصل) الكثرة فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس ويمتنع القياس على الكثير لمخالفته له(٣) فمثال الأول(٤) : قولهم في النسب إلى شنؤة شنئي، فلك أن تقول في ركوبة: ركبي... قياسا على شنئي، وذلك أنهم أجروا مفعولة مجرى فعلية لمشابهتها إياها، لأن كلاً منهما ثلاثي، وأن ثالثه حرف لين، وأن آخره تاء التأنيث، وأن فعولا وفعيلا يتواردان... ومثال الثاني أي في امتناع القياس على الكثير لمخالفته له قولهم في ثقيف، وقريش، وسليم، ثقفي، وقرشي، وسلمى فهو

(١) لمع الادلة في أصول النحو، لابن الأنباري ص ٩٣

(٢) تقويم الفكر النحوي علي أبوالمكارم ص ١١٥

(٣) الخصائص لابن جني ج١ ص:١١٥

(٤) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٩٩-١٠٠

وإن كان أكثر من شنئي فإنه عند سيبويه ضعيف في القياس(١) والسبب في القياس على القليل وترك الأكثر هو ورود هذا القليل عن قبيلة عرفت بالفصاحة فحيئذ لاقيمة لهذا الكثير مادام وروده عن قبيلة أو قبائل ليست في مستوى القبيلة الفصيحة في زعم بعض النحاة والقبائل التي اشتهرت بالفصاحة هي قريش ، وقيس، وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل(٢).

فهذه الشكلية (الصورية) التي امتاز بها القياس النحوي والتي هي بالتالي من تأثيرات المنهج المنطقي في المنهج النحوي وبالإضافة إلى تحديد القبائل التي قصر النحاة القياس على لغتها أدى هذا كله إلى إهمال كثير من النصوص اللغوية من بينها كثير من القراءات التي ردهابعض النحاة بحجة أنها خارجة عن القياس.

---

(١) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص ١٠٠

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٥٦

الباب الخامس

توجيه بعض القراءات السبعية

بسم الله الرحمن الرحيم

أ - قال تعالى : (أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) (المائدة : ٢)

قرأ أبو عمرو وابن كثير (إن) بكسر الهمزة وقرأها الباقون بالفتح(١) فأما قراءة (أن) بالفتح فتوجه على ان (أن) مصدرية وهي ومدخولها في موضع جر أو نصب(٢)، والتقدير : لايحملنكم بغض قوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام على الاعتداء. والقراءة على هذا التوجيه تدل على أن صد المشركين للمؤمنين عن المسجد الحرام على الاعتداء. والقراءة على هذا التوجيه تدل على أن صد المشركين للمؤمنين عن المسجد الحرام كان قد وقع وانقضى، ويؤكد ذلك نزول الآية عام الحديبية سنة ست من الهجرة(٣) أو عام الفتح سنة ثمان(٤) ومهما يكن من اختلاف بين تحديد زمن النزول فإن الآية نزلت بعد أن وقع الصد من المشركين للمؤمنين سواء قربت المدة الزمنية بين وقوع الصد ونزول الآية أو بعدت. والقراءة تفيد معنى النهي، أي نهي المسلمين عن الاعتداء على المشركين أيا كانوا لصد كان قد وقع منهم أو من بعضهم. أما قراءة أبي عمرو وابن كثير فتوجه على أن (إن) شرطية(٥) وجواب الشرط دل عليه ماقبل الأداة وهو قوله: (ولايجرمنكم شنآن قوم)(٦) وهذا على رأي أكثر البصريين لأنهم لايجيزون تقديم الجواب على أداة الشرط لأن الأداة لها الصدارة عندهم، ولأنه ثان أبدا عن الأول متوقف عليه وذهب الأخفش والكوفيون إلى جوازه(٧) والقراءة مع كونها متواترة

---

(١) التبصرة/٤٨٤ ، سراج القاريء / ٢٠٠
(٢) إملاء مامن به الرحمن ج١/٢٠٦
(٣) تفسير ابن كثير ج٣/١٠
(٤) فتح القدير ج٢/٣
(٥) إملاء مامن به الرحمن ج١/٢٠٦
(٦) المائدة ٢
(٧) همع الهوامع ج٤/٣٣٢-٣٣٣

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أحد القراء بها من أئمة العربية وهو أبوعمرو بن العلاء ومع ذلك كله فقد طعن فيها النحاس قال: فأما (إن صدوكم) بكسر (إنْ) فالعلماء الجلة بالنحو والحديث والنظر يمنعون القراءة بها لأشياء منها: أن هذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان وكان المشركون صدوا المؤمنين عام الحديبية سنة ست فالصد كان قبل الآية وإذا قريء بالكسر لم يجز أن يكون إلا بعده(١) وهذا الذي ذهب إليه النحاس مردود من وجهين:

الوجه الأول : إن نزول الآية عام الفتح سنة ثمان ليس أمرا مجمعا عليه بين العلماء فقد نقل أبوحيان عن اليزيدي أن الآية نزلت قبل أن يصد المشركون المسلمين عن البيت الحرام(٢) فعلى قول اليزيدي يكون الشرط واضحا.

الوجه الثاني : وهو إن سلمنا مع النحاس أن صد المشركين للمسلمين قد وقع عام الحديبية سنة ست والآية نزلت بعده، فلا فلا يضعف ذلك القراءة لأنه (يستعمل الماضي في الشرط متحقق الوقوع، وان كان بغير لفظ (كان) لكنه قليل(٣). ومعنى القراءة: إن وقع صد لكم مثل ذلك الصد الذي وقع منهم عام الحديبية أو أنهم استداموا ذلك الصد الذي وقع فلا يحملنكم بغض من صدكم على الاعتداء. وهذا المعنى ذكره من المعربين مكي بن أبي طالب(٤) والعكبري(٥) ويقويه قراءة عبد الله بن سعود (إن يصدوكم)(٦) وعليه تكون القراءة قد دلت على أمر منتظر قد يقع أو لا يقع أما قراءة الفتح فهى علّة لما كان قد وقع.

---

(١) إعراب القرآن ج١/٤٨٠

(٢) البحر المحيط ج٣/٤٢٥

(٣) خزانة الأدب ج٣/٦٥٥

(٤) مشكل إعراب القرآن ج١/٢١٨

(٥) إملاء مامن به الرحمن ج١/٢٠٦

(٦) معاني القرآن للفراء ج١/٣٠٠

ب - قال تعالى : (قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُنِنِي)(الاعراف : ١٥٠)

قال تعالى (قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) (طه : ٩٤)

قرأ ابن عامر وابن كثير وحمزة والكسائي (ابن أم) في هاتين الآيتين بكسر الميم. وقرأهما الباقون بالفتح(١).

فأما قراءة (ابن أم) بالفتح ففيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول :

أن يكون الاسمان في قوله (ابن أم) بمنزلة الاسم الواحد المبني على فتح الجزأين كما تبنى الأعداد المركبة وهذا التوجيه على مذهب البصرين وهو مذهب سيبويه قال: (وقالوا يا ابن أم ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد لأن هذا أكثر في كلامهم من يا ابن أبي ويا غلام غلامي)(٢) وكذلك قال به الأخفش(٣) والمبرد(٤) والزجاج(٥).

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢/٢٧٢

(٢) سيبويه ج٢/٢١٤

(٣) معاني القرآن ج٢/٣١٠

(٤) المقتضب ج٤/٢٥١

(٥) معاني القرآن وإعرابه ج٢/٤١٨

وعلى هذا المذهب فإن الفتحة في ابن فتحة بناء لا فتحة إعراب.

الوجه الثاني :

إن الأصل في (ابن أم) هو (ابن أمي) فأم مضافة إلى ياء المتكلم وياء المتكلم قد قلبت ألفا كما تقلب في المنادي المضاف إلى ياء المتكلم نحو ياغلاما، ثم حذفت الألف واجتزيء بها بالفتحة كما اجتزئ عن الياء بالكسرة وهذا المذهب عزاه إلى الكوفيين كل من النحاس(١) وأبي حيان(٢) والسمين(٣) وكذلك قال به كل من الزمخشري(٤) والعكبري(٥) ولعل هذا المذهب هو المفهوم من توجيه الفراء لقراءة الفتح والكسر قال: (يقرأ بالنصب والخفض - يعني ابن أم - وذلك أنه كثير في الكلام فحذفت منه العرب الياء ولا يكادون يحذفون الياء إلا في الاسم المنادي يضيفه المنادي إلى نفسه إلا قولهم يابن عم ويا بن أم وذلك أنه يكثر استعمالها في كلامهم فإذا جاء مالا يستعمل اثبتوا الياء فقالوا يابن أبي ويابن أخي ويابن خالتي فأثبتوا الياء، ولذلك قالوا يابن أم ويابن عم فنصبوا كما تنصب المفرد في بعض الحالات)(٦) ولعل القاريء يذهب إلى أن هناك اختلافا بين قول الفراء وماعزاه كل من النحاس وأبي حيان والسمين إلى الكوفيين وهو أن الفراء وهو كوفي لم يذكر في توجيهه للقراءة قلب الياء إلى ألف ثم حذف الألف والاجتزاء عنها بالفتحة. فليس هناك اختلاف لأن الفتحة دلالة على الألف المحذوفة المنقلبة عن الياء المقدر فتح ما قبلها إذ لايصح أن تكون الفتحة دلالة على الياء المفتوحة. ومهما يكن فهذا

---

(١) إعراب القرآن ج٦٣٩/١

(٢) البحر المحيط ج٤ ص٣٩٦

(٣) الدر المصون ٣٢٥

(٤) الكشاف ج١١٩/٢

(٥) إملاء مامن به الرحمن ج٢٨٩/١

(٦) معاني القرآن ج٣٩٤/١

المذهب قد ضعفه مكي بن أبي طالب(١) بحجة أن الألف عوض من ياء وحذف الياء إنما يكون في النداء، وليس (أم) نداء وكذلك ضعفه كل من النحاس(٢) وابن الأنباري(٣) بحجة أن الألف خفيفة لا تحذف. وليس الأمر كما ذكر هؤلاء المضعفون، لأن المفهوم من كلام الفراء الذي أوردناه آنفا أن الحذف ليس مضطردا في كل ماأضيف إلى الياء مثل يابن أبي ويابن أخي.... بل هو محصور في الأم والعم إذا أضيف إليهما ابن أو بنت لكثرة الاستعمال بخلاف غيرهما الذي لم يكثر استعماله في الكلام، وعلة الحذف عندهم هو طلب المبالغة في التخفيف.

ونود أن ننبه على أن فتحة (ابن) فتحة إعراب، وهو مضاف إلى (أم) التي في محل جر بالإضافة.

الوجه الثالث :

أن تكون فتحة (أم) إتباعا لفتحة النون في (ابن) وهذا الوجه ذكره السيرافي(٤). وأجازه ابن يعيش قال (ويجوز أن يكون فتح الثاني إتباعا لفتحة النون في "ابن" وموضع "أم".... خفض بالإضافة)(٥) وعندي أن هذا الوجه فيه نظر. لوجود الفاصل بين النون في ابن وبين الميم في "أم") وانما أتبعوا الحرف حركة ماقبله إذا لم يوجد فاصل بينهما وقد قرأ الحسن البصري ورؤبة (الحمد لله)(٦) بكسر الدال إتباعا لحركة اللام المكسورة(٧) وقرأ

---

(١) شكل إعراب القرآن ج١/٣٣١

(٢) إعراب القرآن ج١/٦٣٩

(٣) البيان ج١/٣٧٥

(٤) سيبويه ج٢/٢١٤

(٥) شرح المفصل ج١/١٣

(٦) الفاتحة /١

(٧) مختصر في شواذ القراءات ص١

إبراهيم بن أبي عبلة (الحمدلله) بضم اللام إتباعا لضمة الدال(١) فهاتان قراءتان لم يوجد بين الحرف والحرف المتبع له فاصل.

أما قراءة (ابن أم) بالكسر ففيها وجهان:

الوجه الأول :

أن يكون قوله (ابن أم) اسما مركبا مضافا إلى ياء المتكلم فكسر آخره ثم اجتزيء عن الياء بالكسرة فهو نظير يا أحد عشرى يا أحد عشر بحذف الياء. وهذا هو رأي البصريين وهو مأخوذ من كلام سيبويه قال: (وقد قالوا يابن ام ويابن عم) كأنهم جعلوا الأول والآخر اسما، ثم أضافوا إلى الياء كقولك ياأحد عشر أقبلوا)(٢) وحركة الكسر في (ابن أم) على هذا الرأي حركة بناء لأجل ياء المتكلم.

الوجه الثاني :

أن يكون (ابن مضافا إلى (أم) وهي مضافة إلى ياء المتكلم ولكن حذفت منها واجتزيء عنها بالكسرة وهذا الرأئ هو مذهب الكوفيين وقد عزاه إليهم أبو حيان(٣) والسمين(٤) وهو مايفهم أيضا من قول الفراء الذي أوردناه في الوجه الثاني من قراءة الفتح.

---

(١) مختصر في شواذ القراءات/١

(٢) سسيبويه ج٢/٢١٤

(٣) البحر المحيط ج٤/٣٩٦

(٤) الدر المصون ٣٢٥ أ

الوجه الثالث :

وقد حكاه النحاس عن الأخفش وأبي حاتم قال: (وقال الأخفش وأبو حاتم (يا ابن أم) كما تقول ياغلام غلام أقبل - قال أبو جعفر - أي النحاس - ياغلام غلام - لغة شاذة لأن الثاني ليس بمنادى فلا ينبغي أن تحذف من الياء)(١) وتعقيب النحاس جد حسن لو كان الأخفش قال ذلك. ولكن الأخفش لم يقله وإنما الذي قاله في كتابه (معاني القرآن) هو: (وقال بعضهم يابن أم فجعله على لغة الذين يقولون هذا غلام قد جاء)(٢) فالذي يفهم من قول الأخفش أنهم حذفوا الياء من (ابن أمي) كما حذفوا الياء من (غلامي) وجعلوا الكسرة دلالة عليها هذا ذائعٌ في كلام العرب من ذلك قوله تعالى (ياعباد فاتقون)(٣) فقد حذفت الياء من هذه الآية وأبقيت الكسرة دلالة عليها فالأخفش في قوله هذا يمكن أن يضم إلى رأي الكوفيين في توجيه قراءة الكسر.

الوجه الرابع :

أن يكون قوله (ابن أم) اسما واحدا مبنياً على الكسر وبه تفرد الأخفش قال: (أو جعله اسما واحداً آخر مكسور مثل خازباز)(٤) وهذا الرأي الذي ذكره وكذلك رأي البصريين في توجيه الفتح بأنه اسم مركب مثل خمسة عشر أقول أن هذين الرأيين فيهما نظر لأن الأصل في (ابن أم) الإضافة إلى ياء المتكلم وقد ورد على الأصل قول أبي زبيد الطائي(٥):

---

(١) إعراب القرآن ج١ ص ٦٤٠

(٢) معاني القرآن ج٢/٣١١

(٣) الزمر ١٦

(٤) معاني القرآن ج٢/٣١١

(٥) سيبويه ج٢/٢١٣. شرح المفصل ج٢/١٢٠ همع الهوامع ج٤/٣٠١

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي

أنت خليْتني لدهر شديد

حيث أضاف (أم) إلى ياء المتكلم، غير أنه لما كثر دوران هذا التركيب في كلامهم غلب الحذف فكسرت الميم دلالة على الياء أو فتحت دلالة على الألف المحذوفة المنقلبة عن الياء المقدر فتح ماقبلها.

****

ج - قال تعالى : (كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم....) هود :٦٨

قال تعالى : (وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا)الفرقان : ٣٨

قال تعالى :(وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم) العنكبوت : ٣٨

قال تعالى : (وثمـــــود فمـــا أبقـــــى) النجم : ٥١

قرأ حمزة وحفص :(ثمود) بغير تنوين في المواضع الأربعة ووافقهما أبو بكر في آية النجم، وقرأ الباقون بالتنوين في الأربعة(١).

لعل من الحسن أن نذكر إعراب (ثمود) في الآيات السابقات قبل الحديث عن اختلاف القراء في التنوين وعدمه فكلمة (ثمود) في الآية الأولى تعرب اسم (إن) منصوب وفي الآية الثانية والثالثة فهي معطوفة على (عادا) التي إعرابها مفعول به لفعل محذوف تقديره: وأهلكنا عادا وثمود، وفي الآية الرابعة فهي مفعول به لفعل محذوف أيضا تقديره وأهلك ثمود فما أبقى، ولا يجوز أن يعمل فيه قوله (ما أبقى) لوجود حرف النفي. وهو كلمة "ما".

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢ /٢٨٩-٢٩٠

ومع أن كلمة (ثمود) في المواضع الأربعة منصوبة ولكن القراء اختلفوا فيها فقرأها حمزة وحفص بغير تنوين على أنها ممنوعة من الصرف والسبب في ذلك أنها اسم للقبيلة ومادامت كذلك فهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث وإلى ذلك أشار أبو بكر الأنباري قال: (وثمود يجري ولا يجري فمن أجراه قال: هو اسم لرجل أو للحي ومن لم يجره قال: هو اسم للأمة أو للقبيلة)(١) واستشهد على عدم صرفه بقول القائل(٢):

ونادى صالح يارب أنــزل

بآل ثمودَ منك غــداً عذابا

حيث فتح كلمة (ثمود) ولم يكسرها لأنها ممنوعة من الصرف فجعل الفتحة نيابة عن الكسرة ولم يكن منع ثمود من الصرف لكونها اسما للقبيلة خاصا بها بل يشاركها في ذلك أكثر القبائل، قال سيبويه: (وإن شئت جعلت تميما وأسدا اسم قبيلة في الموضعين جميعا فلم تصرفه والدليل على ذلك قول الشاعر:

نبأ الخز عن روح وأنكر جلده

وعجت عجيجاً من جذامَ المطارف(٣)

حيث منع صرف (جذام) على معنى القبيلة.

أما قراءة الجمهور (ثمودا) بالتنوين ففيها وجهان:

---

(١) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ص٥٤٠

(٢) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ص٥٤٠

(٣) سيبويه ج٣/٢٤٨

الوجه الأول :

أن تكون (ثمودا) مصروفاً لأنها اسم للحي أو اسم لأبيهم وبهذا الوجه قال أكثر المعربين منهم الأخفش(١) وابن الأنباري(٢) والقول بهذا الوجه ينفي إحدى علتي المنع من الصرف وهي التأنيث ومما ورد فيه ثمود مصروفاً من كلام العرب قول الشاعر(٣):

دعت أم غنم شرّ لصٍ علمته
بأرض ثمود كلها فأجابها

حيث صرف (ثمود) على معنى الحي أو ألاب.

الوجه الثاني :

أن تكون (ثمودا) مصروفاً لأنه مشتق من (الثمد) وهو الماء القليل وهذا الوجه ذكره ابن خالويه قال فيمن صرفه (إنه جعله "فعولا" من الثمد وهو : الماء القليل فصرفه)(٤) ، وهذا الوجه إنما يجوز على رأي من يري أن بلاد قوم صالح سميت "بثمود" قال أبو حيان (وقيل سميت ثمود لقلة ما بها من الثمد وهو الماء القليل)(٥) وقد جاء في لسان العرب في مادة (ثَمَدَ) (الثَّمَدُ والثِّمْدُ الماء القليل الذي لامادّ له، وقيل هو الماء القليل يبقى في الحجلد: وقيل:هو الذي يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف)(٦) وقد ورد ذكر الثَّمَد بمعنى الماء القليل في قول

---

(١) معاني القرآن ج٢/٣٥٤

(٢) المذكر والمؤنث ص:٤٥٠

(٣) المذكر والمؤنث ص:٥٤٠

(٤) الحجة في القراءات اسبع ١٨٨

(٥) البحر المحيط ج٤/٣٢٧

(٦) لسان العرب ج٣/١٠٥

(٧) الديوان ، ص : ١٣٥

أحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت

إلى حمام شراع وارد الثمد

ومادام الحديث عن كلمة (ثمد) موصولا يحسن أن ننبه إلى أمرين مهمين:

الأول : أن كتب معاجم اللغة مثل معجم (لسان العرب)(١) ومعجم (القاموس المحيط)(٢) ومعجم (مقاييس اللغة)(٣) لم تذكر جميعا أن (ثمود) بمعنى الماء القليل. والأمر الثاني : أن بعض المعاجم التي تعتني بجمع الكلمة لم تجمع (ثَمْد) أو (ثَمَد) على (ثمود) فقد جاء في معجم (تهذيب اللغة)(٤) وكتاب (المخصص)(٥) أن (ثمد) تجمع على (ثِماد) وقد جاء في كتاب (أوضح المسالك) أن (فَعْل) مثل (صَعْب) و (فَعَل) مثل (جَبَل) تجمع على (فِعال) بكسر أوله(٦) ولم يذكر أنه يجمع على (فعول).

وأري أن مساغ هذا الوجه أن (ثمود) صفة مشبهة على وزن (فعول) وهي مشتقة من الفعل (ثمد) الثلاثي فقالوا أرض ثمود كما قالوا رجل قتول ولهذا صرفت في قراءة من نونها وهذا القول هو مايوحي به كلام ابن خالويه الذي سبق ذكره في أول الحديث. ومهما يكن نصيب هذا الوجه من الصحة فإننا نميل إلى ترجيح الوجه الأول في صرف (ثمود) وهو أنه صرف لأنه اسم للأب لأن الذين تحدثوا عن نسب صالح عليه السلام ذكروا أن آبائه رجل اسمه (ثمود) وبه سمي أولاده قال أبو حيان(وصالح هو صالح بن آسف بن كاشح أبن أروم بن ثمود ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، هكذا نسبه الشريف النسابة الجواني وهو المنتهي

---

(١) لسان العرب ج٣/١٠٥

(٢) القاموس المحيط ج١/٢٨٠

(٣) مقاييس اللغة ج١/٣٨٨

(٤) تهذيب اللغة ج١٤/٩٢

(٥) المخصص ج٩/١٣٢

(٦) أوضح المالك ج٤/٣١٥-٣١٦

إليه في علم النسب)(١) ومما يؤكد ماذهبنا إليه أن أرض ثمود لم تكن قليلة الماء بل هي أرض كثيرة العيون مما جعل أهلها يشتغلون بالزراعة وقد ذكر الله عز وجل ذلك في قوله تعالى: (أتتركون في ماهنا آمنين *في جنات وعيون* وزروع ونخل طلعها هضيم)(٢).

هذا، وقد نص علماء القراءات على أن قراءة حمزة وحفص (ثمود) بغير تنوين متواترة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام ولكن عفيف دمشقية يرى أن قراءة التنوين هي المتواترة فقط بينما قراءة عدم التنوين من أثر النحاة ومن صنعهم يقول دمشقية: (ماهو المعيار الذي استخدمه الكاتب عندما رسم المصحف فزاد ألف المد بعد (ثمود) المنصوبة المنونة؟ ألا يدعو هذا الأمر إلى الاعتقاد بأن الرواية المتواترة فيه كانت التنوين وإجراء الصرف وأن منع الإجراء لايعدو أن يكون بتأثير من قاعدة النحاة الكلية في منع الصرف وفرضهم هذه القاعدة على اللغة فيما بعد)(٣) وهذا الذي ذهب إليه دمشقية مرفوض لأن من المتعارف عليه أن القراءات القرآنية سابقة في الوجود الزمني على الاشتغال بعلم النحو وقواعده وهذا ما قرره دمشقية نفسه في صفحة ٤٥ من كتابه قال: (ولقد كان أبناء هذا الرعيل - يعني الرعيل الأول من معلمي اللغة- كلهم من قراء القراءات والمقرئين ورثوا طائفة من وجه القراءات هي سابقة في الزمن ولا شك على الاشتغال باللغة والنحو)(٤)أضف إلى ذلك أنه لم ينكرها أحد من علماء القراءات ولم يقل أحد بعدم تواترها ولو

---

(١) البحر المحيط ج٤/٣٢٧

(٢) الشعراء ١٤٦-١٤٨

(٣) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، عفيف دمشقية ص١٥٧

(٤) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، عفيف دمشقية ص٤٥

كان الأمر كما ذهب إليه دمشقية لم يسكتوا عليه وحسب دمشقية أن قارئها حمزة رضي الله عنه وهو الذي لم يقرأ حرفا من كتاب الله إلا بأثر(١) وقد ذكر ذلك في ترجمته رضي الله عنه. أما ما استشكله دمشقية من رسم الكاتب ألفا بعد ثمود المنصوبة المنونة فلا إشكال فيه لأن الصحابة رضي الله عنهم عندما كتبوا المصاحف تحروا في كتابتهم لها أن تكون محتملة للقراءات المتواترة التي كان يقرأ بها أهل الأمصار فزادوا ألفا في (ثمود) لتحتمل قراءة الإجراء. كما صنعوا في غيرها من الكلمات القرآنية التي تحتمل قراءتين.

****

د - قال تعالى:(كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود)هود : ٦٨

قرأ الكسائي (لثمود) بكسر الدال مع التنوين وقرأها الباقون بفتح الدال بغير تنوين(٢).

لقد تقدم الكلام على اختلاف القراء في قوله تعالى (إن ثمود) في صفحة (١٣٤) وكان من المفروض أن يشمل الحديث كلمة (لثمود) ولا سيما أنهما وقعتا في سياق آية واحدة ولكن منعنا من ذلك أمران:

الأمر الأول : اختلاف أسماء القراء في الكلمتين.

الأمر الثاني : اختلاف إعرابهما فكلمة (ثمود) الأولى تعرب اسماً لأن منصوبا، أما كلمة (ثمود) الثانية فهي مجرورة بحرف الجر وهو اللام، وفي نظري

---

(١) معرفة القراءة الكبار ج٩٥/١

(٢) النشر في القراءات العشر ج٢٩٠/٢

أن هذين الأمرين يكفيان لإفراد اختلاف القراءة في (لثمود) عن اختلافها في (ان ثمود) ولكن التعليل في صرفهما أو منعهما من الصرف يظل مشركا بينهما.

فالكسائي إنما صرف (الثمود) في القراءة لأنها اسم للحي أو للأب فانتفت بذلك إحدى علل المنع من الصرف وهي التأنيث، وقد تقدم الاستشهاد على صرف ثمود في بعض كلام العرب في صفحة(١٣٦) ويحتل وجها آخر وهو أن (ثمود) صرفت لأنها مشتقة من الثمد وهو الماء القليل وقد مر بنا ذلك في صفحة(١٣٦).

ومن منع صرف ثمود جعلها اسما للقبيلة فتوفرت بذلك دواعي المنع والصرف وهي العلمية والتأنيث، وقد تقدم الاستشهاد على عدم صرفها من كلام العرب في صفحة(١٣٥).

****

هـ - قال تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه ياأبت.....) يوسف :٤

قال تعالى : (إذ قال لأبيه ياأبت.....) مريم :٤٢

قال تعالى : (ياأبت إني قد جاءني من العلم.....) مريم :٤٣

قال تعالى : (ياأبت لاتعبد الشيطان.....) مريم :٤٤

قال تعالى : (ياأبت إني أخاف.....) مريم :٤٥

قال تعالى : (قالت إحداهما يا أبت استأجره.....) القصص:٤٥

قال تعالى : (قال يا أبت افعل ماتؤمر.....) الصافات:٤٥

قرأ ابن عامر (ياأبت) بفتح التاء في جميع المواضع السابقة، وقرأها الباقون بالكسر (١).

فأما قراءة الجمهور (يا أبت) بالكسر ففيها وجهان:

الوجه الأول : أن التاء في يا أبت زائدة عوضا عن ياء المتكلم وقد كسرت لتدل على الياء المحذوفة. والعلة في حذف الياء هي لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه، وهذا مايفهم من كلام سيبويه قال: (إنما يلزمون هذه الهاء -يعني التاء- في النداء إذا أضفت إلى نفسك خاصة كأنهم جعلوها عوضا من حذف الياء وأرادوا أن يخلق بالاسم حين اجتمع فيه حذف الياء)(٢) وقد قال بهذا الوجه من المعربين مكي بن أبي طالب(٣) والعكبري(٤) وابن الأنباري(٥) وهذه التاء التي في (أبت) بمنزلة تاء التأنيث في خالة وعمة قال سيبويه: (وسألت الخليل رحمه الله عن قولهم: يا أبه، ويأبت لاتفعل ويا أبتاه ويا أمتاه، فزعم الخليل رحمه الله أيّ هذه الهاء مثل الهاء في عمة وخالة ويَدلل على أن الهاء بمنزلة الهاء في عمة وخالة أنك تقول في الوقف يا أمه ويا أبه كما تقول ياخاله)(٦). وقد دخلت التاء على (أب) لإفادة معنى المبالغة قال ابن يعيش: (فأما دخول التاء على الأم فلا إشكال فيه لأنها مؤنثة وأما دخولها على الأب فالمعنى المبالغة من نحو رواية وعلامة)(٧) ولكن كيف جاز إلحاق

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢/٢٩٣

(٢) سيبويه ج١/٢١١

(٣) مشكل إعراب القرآن ج١/٤١٩

(٤) إملاء مامن به الرحمن ج٢/٤٨

(٥) البيان ج٢/٣٢

(٦) سيبويه ج٢/٢١٠

(٧) شرح المفصل ج٢/١٢

تاء التـأنيث بالمذكر؟ قال سيبويه إجابة على ذلك: (قد يكون الشيء المذكـر يوصف بالمؤنث... ويكون الشيء المؤنث يوصف بالمذكر، وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر فمن ذلك: هذا رجل رَبْعَة وغلام يَفَعَةٌ)(١) فعلى قوله فإن التاء في أبت وربعة جيء بها لمجرد التأنيث اللفظي.

الوجه الثاني :

أن تكون الكسرة في (أبت) دالة على ياء المتكلم المقدرة وهذا الوجه نسبه الألوسي إلى الكوفيين(٢) وقد حدد نسبته إلى القراء كل من مكي بن أبي طالب(٣) والقرشبي(٤) وهذا أكثر تحديدا وقد فهمناه من توجيهه لقراءة الكسر قال الفراء: (وقوله يا أبت لاتقف عليها بالهاء وأنت خافض لها في الوصل لأن تلك الخفضة تدل على الإضافة إلى المتكلم)(٥) والتاء في قوله (يا أبت) تصبح على قول الفراء والكوفيين عموما لمجرد التأنيث وقد تعقب هذا الوجه القرطبي بقوله (كيف تكون الياء في النية وليس يقال: يا أبتي)(٦) - وأري أن توجيه الفراء ومن قال بقوله أرجح من توجيه سيبويه والبصريين لأنهم بنوا رأيهم في تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة على الشبه الطردي أي أن تاء التأنيث تشبه ياء المتكلم في الصورة في أن كلا منهما زيادة مضمومة إلى الاسم وهذا

---

(١) سيبويه ج٢/٢١٢

(٢) روح المعاني ج١٢/١٧٨

(٣) مشكل إعراب القرآن ج١/٤١٩

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج٢/١٢١

(٥) معاني القرآن ج٩/١٢١

(٦) معاني القرآن ج٢/٣٢

(٧) الجامع لأحكام القرآن ج٩/١٢

الشبه الطردي يعد من القياس البعيد حتى إن بعض الحذاق من العلماء لم يأخذ به ، بالإضافة إلى أنه قد ورد في قول العرب أبت مضافة إلى ياء المتكلم غير مقدرة نحو قول(١):

أيا "أبتي لازلت فينا" فإنما...

لنا أمل في العيش مادمت عائشا

حيث أثبت ياء المتكلم في (أبتي). غير أن المشهور في كلام العرب حذف الياء مع النداء لكثرة النداء في كلامهم فاستغنوا بالكسرة عنها.

أما قراءة (يا أبت) بالفتح ففيها سبعة أوجه:

الوجه الأول : أن يكون أصل القول (يا أبتا) بالألف للندبة ثم حذفت الألف، وهذا الوجه قال به الفراء وهو المفهوم من قوله: (أن تجعل الفتحة فيها من النداء ولا تنوي أن تصلها بألف الندبة)(٢) - ونسب أبو حيان هذا الوجه أيضا إلى أبي عبيد، وقطرب وأبي حاتم(٣). وهذا التوجيه تعقبه مكي بن أبي طالب بقوله (وهذا ليس بموضع ندبه)(٤). وهذا صواب، لأن يعقوب عليه السلام وهو أبو يوسف عليهما السلام كان حيا والمعروف أن الندبة للميت المتفجع عليه لفقده حقيقة أو لتنزيله منزلة المفقود أو المتوجع له أو المتوجع منه(٥) ويعقوب أبو يوسف لاينطبق عليه واحد مما ذكرناه.

الوجه الثاني : أن يكون الأصل (يا أبةً) بالتنوين ولكن حذف التنوين من المنادي. وقد نسب هذا الوجه إلى قطرب كل من أبو حيان(٦) والألوسي(٧) وتعقباه بأن التنوين لايحذف من المنادي المنصوب نحو ياضاربا رجلا

---

(١) شرح ابن عقيل ج٢/٢٧٦
(٢) معاني القرآن ج٢/٣٢
(٣) البحر المحيط ج٥/٢٧٩
(٤) مشكل إعراب القرآن ج١/٤٢٠
(٥) حاشية الصبان ج٣/١٦٧
(٦) البحر المحيط ج٥/٢٧٩
(٧) روح المعاني ج١٢/١٧٨

الوجه الثالث : أن يكون قوله (ياأبت) مرخماً بحذف التاء ثم رُدّت ولم يعتد بها ففتحت كما كان الاسم قبل رجوعها مفتوحا. وهذا الوجه نسبه أبو حيان لأبي علي الفارسي(١) وذكره كذلك من المعربين مكي بن أبي طالب(٢) وأجاز ابن الأنباري كونه مرخماً غير أن التاء فتحت تبعا لفتحة الباء قال: (إنه محمول على قول من قال ياطلحة بفتح التاء كان قد رخم ثم رد التاء وفتحها تبعا لفتح الحاء فقال ياطلحة)(٣). ولعل الذين قالوا بهذا الوجه قاسوه على ما أورده سيبويه عن يونس قال: (وحدثنا يونس أن بعض العرب يقول: يا أمّ لا تفعلي، جعلوا هذه الهاء بمنزلة هاء طلحة إذ قالوا ياطلحة فحذفوها)(٤) ولكي يكون هذا الوجه صوابا لابد من اعتبار أن أبت غير مضافة إلى ياء المتكلم، لأنهم اشترطوا في المنادي المرخم أن يكون مبنيا لإخراج النكرة غير المقصودة نحو قول الأعمى: ياجاريةً خذي بيدي وألا يكون مركبا تركيبا إضافيا أو إسناديا وهذان الشرطان ذكرهما الأشموني(٥) وقد ذكرنا عند حديثنا عن قراءة الكسر أن التاء في (أبت) للتأنيث عند سيبويه. وبهذا تكتمل دواعي الترخيم في (أبت) وهو كونه ثلاثيا مختوما بتاء التأنيث وكونه غير مضاف.

الوجه الرابع أن يكون الأصل يا أبيَ بفتح الياء فلما حذفت الياء وعوض عنها بالتاء ألقيت حركة الياء على التاء وهذا الوجه ذهب إليه الزمخشري قال:(ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك ياأبي)(٦)

---

(١) البحر المحيط ج٥/٢٧٩

(٢) مشكل إعراب القرآن ج١/٤١٩

(٣) البيان ج٢/٢٣

(٤) سيبويه ج٢/٢١٣

(٥) حاشية الصبان ج٣/١٧٣

(٦) الكشاف ج٢/٣٠٢

وهذا الوجه الذي قال به الزمخشري مبني على القول بوقوع التاء عوضا من ياء المتكلم وقد ذكرناه منسوبا لسيبويه عند حديثنا عن قراءة الكسر وقد قال به الزمخشري أيضا في توجيه تلك القراءة(١) ، ولكن نبهنا على أنه رأي مرجوح لاعتماده على الشبه الطردي وهو قياس بعيد لم يقره بعض علماء الأصول كما أنه يضعف من هذا الوجه افتعال الزمخشري حركة الفتح في الياء حتى يبرر بها حركة الفتح في تاء يا أبت.

الوجه الخامس : أن يكون أصله (يا أبتي) فأبدلت كسرة التاء فتحة وقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت الألف فصارت "يا أبت" وهذا الوجه ذكره ابن الأنباري(٢) والقرطبي(٣) ولعل جواز هذا الوجه عندهما - أن الكسر هو الأصل فقلب إلى فتح للتخفيف.

الوجه السادس : أن يكون أصله يا أبتاه ثم حذفت واجتزيء عنها بالفتحة وإلى هذا الوجه ذهب كل من مكي ابن أبي طالب(٤) وأبي حيان(٥) ولعل جوازه عندهما أنه لما كانت الفتحة أخف من الألف في الأداء الصوتي حذفت الألف واجتزيء عنها بالفتحة مبالغة في التخفيف.

الوجه السابع : أن يكون الأصل "ياأبتي" فقلبت الياء ألفا فصارت "يا أبتاه" ثم حذفت الألف وَاجْتُزِيءَ عنها بالتفتحة وهذا الوجه نسبه القرطبي إلى البصريين(٦) وهذا الوجه قريب الشبه بالوجه السابق من حيث حذف الألف والاجتزاء بالفتحة عنها.

---

(١) الكشاف ج٢/٣٠١

(٢) البيان ج٢/٣٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٩/١٢١

(٤) مشكل إعراب القرآن ج١/٤١٩

(٥) البحر المحيط ج٥/٢٧٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٩/١٢١

ولعلنا قبل الانتهاء ننبه على أن الوجه الثالث والخامس والسادس والسابع أوجه صحيحة إلا أن أرجحها الوجه الثالث وهو أن "أبت" رخمت بحذف التاء ثم ردت التاء مفتوحة والعلة من هذا الحذف هو التخفيف أما الوجه الخامس والسادس والسابع ففيهما نظر لأن الألف حقيقية لاتستثقل فتحذف بعكس حذفها في (ابن أم) التي مرت بنا في صفحة (١٢٧) لكون الحذف فيها محتمل للثقل الحاصل بالتركيب.

****

و - قال تعالى : (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما)الإسراء:٢٣

قال تعالى : (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)الأنبياء : ٦٧

قال تعالى : (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج)الأحقاف : ١٧

قرأنا نافع وحفص (أف) في الآيات الثلاث بكسر الفاء والتنوين، وقرأها ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين وقرأ الباقون الفاء من غير تنوين فيهن(١) فكلمة "أف" في الآيات السابقات اسم فعل بمعنى (أتضجر) وفيه لغات تقارب الأربعين وقد أوردها مضبوطة أبوحيان في كتابه (البحر المحيط)(٢) وهذه القراءات الثلاث هي بعض من تلك اللغات التي أوردها أبو حيان.

وهو اسم فعل مبني وكان قياسه ألا يبني لأنه لم يقع موقع المبني فهو اسم فعل بمعنى المضارع والمضارع حقه الإعراب لا البناء.

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢/٣٠٦-٣٠٧

(٢) البحر المحيط ج٦/٢٣

والأصل في بنائه أن يكون على السكون ولكن لما التقى حرفان ساكنان وهما الفاءان حركت الفاء الثانية لالتقاء الساكنين ففي قراءة الجمهور بنيت (أف) على الكسر لأنه الأصل في التقاء الساكنين، وكذلك قراءة نافع وحفص فهي مبنية على الكسر لكن الفرق بينهما في التنوين وعدمه فقد ذكر النحاس أن من جعل "أف" منونة فإنه أراد النكرة أي اتضجر تضجرا، ومن جعل "أف" غير منونة فانه أراد المعرفة أي اتضجر التضجر(١) وهذا العرف الذي ذكره النحاس بين التنوين في "أف" - وعدمه هو الذي عليه أكثر النحاة وقد ذكره ابن يعيش في (شرح المفصل)(٢) ولكن للفراء تعليلا غير ماذكر قال: (الذين خفضوا ونونوا ذهبوا إلى أنها - يعني أف - صوت لايعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوا كما تخفض الأصوات، من ذلك قول العرب سمعت طاق طاق لصوت الضرب.. والذين لم ينونوا وخفضوا قالوا: أف على ثلاثة أحرف وأكثر الأصول انما يكون على حرفين مثل صه.. فذلك الذي يخفض وينون فيه لأنه متحرك الأول. ولسنا بمضطرين إلى حركة الثاني من الأدوات وأشباهها..)(٣) وماذهب إليه الجمهور أرجح لأن "أف" وبقية الألفاظ أسماء وضعت لتدل على صيغ الأفعال كما تدل الأسماء على مسمياتها ومن حق الأسماء التنكير والتعريف ويدخل التنوين للفرق بين هاتين الصفتين وبهذا يكون النطق بالتنوين وعدمه في لفظ (أف) جائزاً على أحد الوجهين وهذا ينعكس على تلقي القراءتين بالقبول ويمنح كل منهما وجها قويا في العربية بينما القولان اللذان أوردهما الفراء يجعل الأخرى ضعيفة أو باطلة ولذلك لاينبغي أن توجه القراءة على أي واحد منهما.

---

(١) إعراب القرآن ج٢/٢٣٧

(٢) شرح المفصل ج٤/٣٨

(٣) معاني القرآن ج٢/١٢١

أما قراءة ابن كثير وابن عامر "أف" بفتح الفاء من غير تنوين فهي مبنية على الفتح لأن الفتح أخف الحركات وإنما ترك التنوين لإرادة المعرفة. ويتبقى أن نذكر أن اختلاف القراءتين بين الكسر والفتح والتنوين وعدمه لم يؤثر على المعنى بل معناهما واحد.

****

ز - قال تعالى : (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى)طه : ١٢

قال تعالى : (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) النازعات : ١٦

قرأ الكوفيون وابن عامر (طوى) بالتنوين في الموضعين وقرأهما الباقون في الموضعين بغير تنوين(١). فمن قرأ (طوى) بالتنوين اعتبره اسما مصروفا لأنه جعله اسما للوادي أو الجبل وإلى هذا الوجه ذهب كثير من المعربين منهم الزجاج قال: (فمن نونه فهو اسم للوادي أو الجبل، وهو مذكر سمي بمذكر على فُعَل نحو حَطَم وصُرَد)(٢) وكذلك قال به ابن خالويه(٣) ومكي بن أبي طالب(٤) وقد ورد (طوى) مصروفا في قول عدي بن زيد(٥):

أعذل إن اللوم في غير كنهه

على طوى من غيك المتردد

(وطوى) التي في بيت عدي هذا صفة بمنزلة ثُنَي وثُنَى : هو الشيء المطوي مرتين ويحتمل أن تكون (طوى) في الآية صفة بمنزلة ثنى هي الأخرى على معنى

---

(١) الكشف ج٢/٩٦

(٢) لسان العرب ج١٥/٢١

(٣) الحجة في القراءات السبع / ٢٤٠

(٤) الكشف ج٢/٩٦

(٥) لسان العرب ج١٥ /٢١

الوادي أو الجبل المقدس مرة بعد مرة. وقد صرفت (طوى) في هذه القراءة لكونها علما لمذكر ويحتمل أن تكون صفة لمذكر. وبهذا التذكير زالت إحدى علتي المنع من الصرف كما هو معروف في كتب النحاة.

أما من قرأ (طوى) بغير تنوين اعتبره اسما ممنوعا منا لصرف وهو محتمل لثلاثة أوجه:

الوجه الأول: يحتمل أنه يكون منع من الصرف لأنه اسم للبقعة أو الأرض وهذا الوجه ذكره عدد كبير من المعربين منهم ابن خالويه(١) وأبو زرعة(٢) وأبو حيان(٣) والسمين(٤) وإنما منع من الصرف في هذا الوجه للعلمية والتأنيث.

الوجه الثاني : يحتمل أن يكون منع من الصرف لأنه معدول عن "طاو" مثل ماعدل "عمر" عن "عامر" و "زفر" عن "زافر" وقد نسب هذا الوجه إلى الزجاج كل من أبي زرعة(٥) وابن منظور صاحب (لسان العرب)(٦) ونسبه ابن خالويه إلى بعض النحويين(٧) ولم يحدد أحدا بعينه وقال مكي بن أبي طالب: (وقد يجوز أن يكون معدولا كـ (عمر)، وإن كان لايعرف عن أشيء عدل كما أن (كتع وجمع) معدولان، ولم يستعمل ماعدلا عنه)(٨) ومثل قول مكي قال السمين(٩) أبو [illegible] الفرق بين قولهما وقول الزجاج ذكر الاسم المعدول

---

(١) الحجة في القراءات السبع / ٢٤٠

(٢) حجة القراءات / ٤٥

(٣) البحر المحيط ج٦/٢٣١

(٤) الدر المصون / ٥٤

(٥) حجة القراءات /٤٥١

(٦) لسان العرب ج١٥ /٢١

(٧) الحجة في القراءات السبع / ٢٤٠

(٨) الكشف ج٢/٩٦

(٩) الدر المصون ٤٥٤

عنه هو الحديث: (ببيت شبعان وجار طاو)(١) وقد جاء في قول الراعي(٢):

اغن غضيض الطرف ، باتت تعله

صرى ضرّة شكْري ، فأصبح طاويا.

الوجه الثالث : يحتمل أن يكون منع من الصرف لأنه أعجمي وإليه ذهب السمين قال : (إنه اسم أعجمي فمنعه للعلمية والعجمة)(٣) وفيه نظر، لأنه يحتمل أنه قيل له (طوى) لأن موسى طواه بالليل إذ مر به فارتفع إلى أعلى الوادي(٤) ويحتمل أنه سمي بـ (طوى) لأن البركة والتقديس ثنيا فيه مرتين(٥) بالإضافة إلى أن أحدا من المتقدمين لم يذكر أن "طوى" منع من الصرف للعلمية والعجمي. ولعل أرجح هذه الأوجه الثلاثة في ذكر تعليل عدم صرف "طوى" هو الوجه الأول الذي يراعي أن "طوى" منع من الصرف لأنه اسم للبقعة أو الأرض لأن الله صرح بذكرها في قوله تعالى : (فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة)(٦).

****

ح - قال تعالى : (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) النمل:٢٢

قال تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان...) سبأ:١٥

قرأ أبو عمرو والبزي (سبأ) بفتح الهمزة من غير تنوين في الموضعين. وقرأ الباقون في الحرفين بالجر والتنوين(٧).

قبل الحديث عن اختلاف القراء في (سبأ) نذكر أن هذه الكلمة مجرورة

---

(١) لسان العرب ج١٥/٢٠

(٢) لسان العرب ج١٥ /١٨

(٣) الدر المصون ٤٥٤ ب

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج١١/١٥٧

(٥) لسان العرب ج١٥ /٢١

(٦) القصص/٣٠

(٧) الكشف في القراءات العشر ج٢/٢٣٧

بحرف الجر (من) في الآية الأولى، وبلام الجر في الآية الثانية. ولكن اختلف القراء فيها من حيث الصرف وعدمه.

فمن فتح الهمزة من غير تنوين اعتبر الكلمة ممنوعة من الصرف لأنها عنده اسما للقبيلة. قال سيبويه: (وكان أبو عمرو لايصرف. "سبأ" يجعله اسما للقبيلة)(١) وسبب منع سبأ من الصرف إذا كانت اسما للقبيلة هو العلمية والتأنيث. وقد ورد "سبأ" ممنوعا من الصرف في قول النابغة الجعدي(٢):

من سبأ الحاضرين مأرب إذ

يبنون من دون سيله العَرِمَا

حيث ترك صرف "سبأ" لأنه على معنى القبيلة

أما من قرأه بالجر والتنوين جعل الكلمة غير ممنوعة من الصرف لأنها عنده اسم الحي أو الأب فزالت بذلك إحدى علتي المنع من الصرف وهي التأنيث قال أبو بكر الأنباري: "سبأ يذكر ويؤنث، فمن ذكره أجراه، ومن أنثه لم يجره(٣). وقد وردت كلمة (سبأ) مصروفة في قول النابغة الجعدي(٤):

أضحت يُنَفّرهُا الولدان من سبأ

كأنهم تحت دفيها دحاريج

حيث صرف "سبأ" لأنه على معنى الحي. أو الأب ومثله قول الشاعر(٥):

---

(١) سيبويه ج٢/٥٣

(٢) سيبويه ج٣/٢٥٣ ماينصرف ومالا ينصرف للزجاج/٥٩

(٣) المذكر والمؤنث ص ٥٤٢-٥٤٣

(٤) سيبويه ج٣/٢٥٣

(٥) معاني القرآن للفراء ج٢/٢٩٠، الجامع لأحكام القرآن ج١٣/١٨١، المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٥٤٤

الواردون وتيم في ذري سبأ

قد عض أعناقهم جلد الجواميس

والشاهد فيه صرف "سبأ" على معنى الحي.

****

ط - قال تعالى :(إن كنتم قوما مسرفين)الزخرف:٥

قرأ نافع وحمزة والكسائي (إن) بكسر الهمزة وقرأها الباقون بالفتح(١).

فأما قراءة (أن) بفتح الهمزة ففيها وجهان:

الوجه الأول: أن تكون (أن) ومـا دخلت عليـه في محل نصب مفعولا لأجله، وبه قال مكي بن أبي طالب(٢) والعكبري(٣) وأبو حيان(٤) وتقدير المعنى عليه: أفنضرب عنكم ذكر العذاب والعقوبة من أجل كونكم قوما مسرفين.

الوجه الثاني : أن تكون (أن) بمعنى (إذ) وبه قال الطبري(٥) وابن خالويه(٦) والتقـدير: أفنضـرعنكم ذكر العذاب إذ كنتم قوما مسرفين ومجيء (أن)بمعنى (إذ) مع الماضي وارد في الكلام(٧) ومنه قوله تعالى: (عبس وتولى* أن جاءه الأعمى)(٨) أي : إذ جاءه الأعمى(٩).

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢/٢٦٨

(٢) مشكل إعراب القرآن ج٢/٢٨١

(٣) إملاء مامن به الرحمن ج٢/٢٢٧

(٤) البحر المحيط ج٨/٦

(٥) تفسير الطبري ج٢/٣١

(٦) الحجة في القراءات السبع / ٣٢٠

(٧) الجني الداني/٢٢٥

(٨) عبس : ١-٢

(٩) الحجة في القراءات السبع / ٣٢٠

أما قراءة (إن) بكسر الهمزة ففيها وجهان:

الوجه الأول: أنْ تكون (إن) شرطية،وبه قال النحاس(١) وأبو زرعة(٢) والشوكاني(٣) وغيرهم واختلف في تعيين جواب الشرط فذهب مكي بن أبي طالب(٣) إلى أن ماقبل (إنْ) جواب لها يعني قوله تعالى: (أفنضرب عنكم الذكر صفحا)(٤) وذهب ابن خالويه(٥) والعكبري(٦) أن جواب الشرط محذوف يدل عليه ماتقدم والتقدير: إن كنتم قوما مسرفين فهل نضرب عنكم الذكر صفحاً. وماذهبا إليه أولى بالصواب لأن جواب الشرط لايجوز تقديمه على الأداة لأنه ثان ابداً عن الأول متوقف عليه(٧).

الوجه الثاني : أن تكون (إن) بمعنى (إذا)، وهذا الوجه يفهم من اعتراض أورده الألوسي على الوجه الأول قال: (ورد - يعني الوجه السابق - ب (إن) - الداخلة على (كان) لاتقلبه للاستقبال عند الأكثر ولذا قيل (إن) هنا بمعنى (إذا) وأيد بأن عَلِيّ بن زيد قرأ به)(٨) وفيه نظر لأن مجيء (إن) بمعنى (إذ) عند أكثر النحويين إنما أجازه الكوفيون(٩) - أما القول بأن (إن) الداخلة على (كان) لاتقلبه للاستقبال فقد ذكر الألوسي أنّ (إن) تقلب (كان) كغيرها من الأفعال(١٠).

(١) إعراب القرآن ج٣/٧٨
(٢) حجة القراءات / ٦٤٥
(٣) فتح القدير ج٥/٥٤٧
(٤) الزخرف : ٥
(٥) الحجة في القراءات السبع / ٣٢٠
(٦) إملاء مامن به الرحمن ج٢/٢٢٧
(٧) همع الهوامع ج٤/٣٣٣
(٨) روح المعاني ج٢٥/٦٥-٦٦
(٩) روح المعاني ج٢٥/٦٦
(١٠) روح المعاني ج٢٥/٦٦

وبين القراءتين فرق دقيق في المعنى فمعنى قراءة الفتح أنا لاتترك تذكيركم بالقرآن لأجل أنكم مسرفون لا تلتفتون إليه بل نذكركم التفتم أم لا(١). أما قراءة الكسر فقد جيء بها "بناء على جعل المخاطب كأنه متردد في ثبوت الشرط شاك فيه قصداً إلى نسبته إلى الجهل بارتكابه الإسراف لتصويره بصورة مايفرض لوجوب انتفائه وعدم صدوره ممن يعقل"(٢).

****

ي - قال تعالى : (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) الانسان:٤

قرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر (سَلاَسِلاً) بالتنوين وقرأه الباقون بغير تنوين، وكلهم وقف على "سلاسلا" بالألف إلا حمزة وقنبلا فإنهما وقفا عليه بغير الألف(٣).

لكلمة "سلاسل" في القراءتين إعراب واحد، فهي مفعول به للفعل "أعتدنا" ولكن القراء اختلفوا، فصرفه قوم، ومنعه من الصرف آخرون.

فمن منع (سلاسل) من الصرف اعتبرها على وزن (فعالل) وهو من أوزان صيغ منتهى الجموع التي تمنع من الصرف. ومما جاء على وزن فعالل ممنوعا من الصرف (مساجد) في قوله تعالى:

---

(١) روح المعاني ج٦٥/٢٥

(٢) المرجع السابق ج٦٥/٢٥

(٣) الكشف ج٣٥٢/٢

(ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)(١) حيث منع مساجد من الصرف، لأنها على وزن "فعالل" والسبب في منع صيغ منتهى الجموع من الصرف لأنها جمع ولأنها لانظير لها في الآحاد لأنك لاتجد مفردا ثالثه ألف بعدها حرفان أو ثلاثة إلا وأوله مضموم قال الزجاج: (إنما منعهم من الصرف هذا المثال يعني فعالل وفعاليل - أنه جمع وأنه على سبيل مثال ليس في الواحد)(٢) وذكر مكي بين أبي طالب في الكشف سببا آخر لمنع صيغ منتهى الجموع من الصرف قال: (لأن هذا الجمع نهاية الجمع المكسر، ولاتجد مجموعا على التكسير البته، فلما لم يحسن تكسير شابه الحروف التي لايجوز جمعها، فثقل لذلك وزاده ثقلا كونه جمعا، لأن الجمع أثقل من الواحد فاجتمع فيه علتان: أنه جمع، وأنه شابه الحروف إذ لايجمع كما لاتجمع الحروف، فمنع من الصرف لذلك)(٣) ولعلنا قبل النهاية ننبه على أن من صيغة فعالل أو فعاليل من الصرف ليس أمر مجمعا عليه في لغة العرب بل أن بعضهم صرفه وهو ماسنراه بعد قليل.

أما من صرف "سلاسل" فله في ذلك ستة أوجه:

الوجه الأول: أن "سلاسل" جمع كسائر الجموع، قد جمعه بعض العرب فصار كالواحد، فانصرف كما ينصرف الواحد وبهذا الوجه قال مكي بن أبي طالب(٤) والقرطبي(٥) وأبوحيان(٦) والحجة لهم في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة قالت: (فقلت لحفصة قولي له

(١) الحج/٤٠

(٢) ماينصرف ومالا ينصرف للزجاج ص٤٦

(٣) الكشف ج٢/٣٥٣

(٤) مشكل إعراب القرآن ج٢/٤٣٦

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج١١/١٢٣

(٦) البحر المحيط ج٨/٣٩٤

فقالت له فقال: إنكن لأنتن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس)(١) حيث جمع عليه الصلاة والسلام (صواحب) بالألف والتاء. كما يجمع المفرد فصار كالواحد في الحكم فصرف كما يصرف الواحد ومثله عندهم قول الفرزدق(٢):

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار

قال مكي: (ورووه بكسر السين من نواكس جعله جمع نواكسين بالياء والنون فحذف النون للإضافة والياء لالتقاء الساكنين فبقيت السين مكسورة في اللفظ فدل جمعه على أنه يجمع كسائر الجموع والجموع كلها منصرفة، فصرف هذا أيضا على ذلك)(٣) ولعلنا نذكر أن الرواية الأخرى للبيت هي بفتح سين. (نواكس) وقد عد سيبويه بيت الفرزدق هذا بفتح السين ضرورة لأنه جمع "ناكس" وهي صفة العاقل على "نواكس"(٤) وكان المفروض أن تجمع جمع مذكر سالم.

الوجه الثاني: أن قوله (سلاسلا) صرف ليناسب المنصرف الذي يليه وهو قوله (أغلالا وسعيرا) وهذا الوجه ذكره عدد من البصريين مثل النحاس(٥) وابن الحاجب(٦) والعكبري(٧) والسمين غير أنه ذكر أن صرف (سلاسلا) لكي يناسب ماقبله ومابعده(٨) وهذه الزيادة التي ذكرها السمين سبقه إليها ابن خالويه قال: (فالحجة لمن نون: أنه شاكل به ماقبله من رؤوس الآي لأنها بالألف

---

(١) سنن النسائي ج٢/٩٩/١٠٠

(٢) سيبويه ج٣/٦٣٣،شرح شافيه ابن الحاجب ج٢/١٥٣

(٣) مشكل إعراب القرآن ج٢/٤٣٧

(٤) سيبويه ج٣/٦٣٣

(٥) إعراب القرآن ج٣/٥٧٣

(٦) شرح الكافية ج١/٣٨

(٧) إملاء مامن به الرحمن ج٢/٢٧٥

(٨) الدر المصون ل ٦٣٠ أ

وإن لم تكن رأس آية)(١) وأري أن القول بأن "سلاسلا" صرفت للمناسبة قول لا يدفع لأن الجرس الذي تشكله كلمة "سلاسلا" مع أخواتها له إيقاع جميل في الأسماع تلذ وتطرب له الإذان ولاسيما أن جمال الجرس ميزة امتاز بها النظم القرآني الكريم.

الوجه الثالث: نسب النحاس إلى الكسائي وغيره من الكوفيين (أن العرب تصرف مالا ينصرف إلا أفعل منك)(٢) وهذا القول نفسه نسبه ابن الحاجب إلى الأخفش والكسائي(٣) وكذلك قال فيه السمين(٤) ونسبه القرشبي إلى الأخفش والكسائي والفراء(٥) ومما ينبغي التنبيه إليه أن الأخفش لم يعرض إلى هذه الآية في كتابه (معاني القرآن) أما الفراء لم أعثر على مانسبه إليه القرشبي عند حديثه عن الآية افي كتابه (معاني القرآن) ومهما يكن من قول فإن صرف مالا ينصرف كثير في كلام العرب ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم(٦):

كأن سيوفنا فينا وفيهم

مخاريقٌ بأيدي لاعبينا

فصرف كلمة (مخاريق) وحقها عدم الصرف لأنها على وزن (مفاعيل) وكذلك قول لبيد بن ربيعة(٧):

وجزر أيسار دعوت لحتفها

بمغالق متشابه أجسامها

وكذلك قوله(٨):

---

(١) الحجة في القراءات السبع/٣٥٨

(٢) إعراب القرآن ج٣/٥٧٣

(٣) شرح الكافية ج١/٣٨

(٤) الدر المصون ل ٦٣٠ أ

(٥) الجامع احاك القرآن ج١٢/٩١

(٦) شرح المعلقات السبع ص١٧٤ للزوزني

(٧) المرجع السابق ص:٢٤٨

(٨) المرجع السابق ص:٢٥١

فضلا وذو كرم يعين على الندّى

سمح كَسُوب رغائب غنامها

فصرف كلمتي (مغالق) و (رغائب) وحقهما المنع من الصرف لأنهما على وزن "مفاعل". وبناء على هذا فإن "سلاسلا" صرفت في هذه القراءة لأن العرب من سنن كلامها صرف مالا ينصرف وهو كثير من كلامها.

الوجه الرابع: أن يكون التنوين في (سلاسلا) بدلا من حرف الإطلاق وهذا الوجه ذكره الزمخشري قال: (أن تكون هذه النون بدلا من حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف)(١) - ويعني الزمخشري بقوله: (ويجري الوصل مجرى الوقف) أن تنطق (سلاسلا) بالتنوين سواء وقف عليها أو لم يوقف كما يدخل التنوين القوافي المطلقة في الشعر كما في قول العجاج(٢):

من طلل كالأتحيم انهجن

ماهاج أحزانا وشجواً قد شجا

حيث وصل القافية (انهجن) بالنون للترنم، وهذا الوجه من الزمخشري يكون مقبولا لو كانت (سلاسلا) نهاية آية أو بتعبير آخر لو كانت فاصلة لأن بعض العلماء يشبه الفواصل في القرآن بالقوافي في الشعر وأهل الحجاز وناس كثير من بني تميم كما ذكر سيبويه إذا لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نونا ولفظوا بتمام البناء ماهو منه(٣) كما رأينا في بيت العجاج الآنف الذكر وكما في قوله أيضا(٤):

ياصاح ماهاج الدموع الذرفن

من طلل أمس فحال المصحفا

حيث وصل القافية (الذرفن) بالنون.

---

(١) الكشاف ج٤/١٩٥

(٢) سيبويه ج٤/٢٠٧

(٣) سيبويه ج٤/٢٠٦-٢٠٧

(٤) سيبويه ج٤/٢٠٧

الوجه الخامس : أن يكون القاريء متأثرا بإنشاد الشعر فصرف (سلاسلا) لأن في الشعر يجوز صرف مامنع من الصرف وإلى هذا القول ذهب الزمخشري أيضا قال: (أن يكون صاحب القراءة به ممن درى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف)(١) وواضح من قول الزمخشري هذا أن تنوين "سلاسلا" خطأ في القراءة وحاشا أن يكون ذلك لمكانة من قرأها وهم نافع والكسائي وأبو بكر وهشام وقد شهدت لهم الأمة بالنزاهة والأمانة في النقل والضبط وبحسن الرواية والحفظ للقرآن فقد قال ابن الجزري عنهم وعن بقية السبعة "ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة، أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان"(٢) فقول ابن الجزري هذا له وزنه وهو واحد ممن خبر مداخل هذا الفن ومخارجه.

الوجه السادس: أن من صرف (سلاسلا) اتبع في قراءته رسم المصحف وهذا الوجه ذهب إليه بعض المعربين مثل الفراء(٣) والقرطبي(٤) فقد نص الإمام أبو عبيدة على كتابة هذه الأحرف الثلاثة - أعني سلاسلا وقواريرا قواريرا - بالألف في مصاحف أهل الحجاز والكوفة(٥) وقال الفراء بكتابة الألف في مصاحف الأمصار قال: (وكذلك رأيتها في مصحف عبدالله وقرأ بها أهل

---

(١) الكشاف ج٤/١٩٥

(٢) النشر في القراءات العشر ج١/٨

(٣) معانيا لقرآن ج٣/٢١٤

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج١٩/١٢٤

(٥) النشر في القراءات العشر ج٢/٣٩٦

البصرة وكتبوها في مصاحفهم كذلك)(١) وقال أبو حيان (والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف أبيّ وعبدالله)(٢). وقد استنبط عفيف دمشقية من وجود هذه الألف في بعض مصاحف الأمصار أن قراءة المنع من الصرف في بعض الصيغ متأخرة في الزمن على قراءة الصرف قال: (هناك أكثر من دليل على أن قراءة المنع من الصرف في بعض الصيغ سواء ما كان منها عربيا وما ليس بعربي - متأخرة في الزمن على قراءة الصرف وأبرز هذه الأدلة وأقواها التزام كتبة المصاحف العثمانية برسم الألف الحامل لتنوين النصب بعد كل صيغة من الصيغ المعتبرة ممنوعة من الصرف في رأي النحاة)(٣). أري أن استنباط دمشقية استنباط ساقط لوجود عدد من الاحتمالات في هذه الألف المكتوبة بعد نهاية (سلاسلا،وقوارير) ومنها أن هناك مصحف أهل الشام لم ينص أحدٌ على رؤية كتابةالألف فيه وهذا يحتمل أن تكون مكتوبة ويحتمل أن تكون غير مكتوبة أيضا، ومنها أن هذه الألف تحتمل أن تكون لبيان الفتحة عند الوقف على مالاينصرف وهذا أمر حكاه الرؤاسي والكسائي عن العرب(٤)، ونص ابن خالويه على أن من العرب من يقول رأيت عمر فيقف على مالاينصرف بالألف(٥) وأحسب أن هذين الاحتمالين يضعفان ماذهب إليه دمشقية في محاولة اعتبار قراءة الصرف أقدم زمنا من قراءة المنع من الصرف.

---

(١) معاني القرآن ج٢١٤/١

(٢) البحر المحيط ج٣٩٤/٨

(٣) أثر القراءة القرآنية في النحو العربي. ص :١٦٦

(٤) إعراب القرآن للنحاس ج٥٧٣/٣

(٥) الحجة في القراءات السبع/٣٩٥

ك - قال تعالى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنية مِنْ فِضّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيراَ. قواريرا من فضة)

الانسان:١٥-١٦

في "قوارير" الأولى والثانية خمس قراءات هي :

الأولى : تنوينهما معا والوقوف عليهما بالألف لنافع والكسائي وأبي بكر.

الثانية : عدم تنوينها وعدم الوقوف عليها بالألف لحمزة وحده.

الثالثة : عدم تنوينهما والوقوف عليها بالألف لهشام وحده.

الرابعة: تنوين الأولى دون الثانية والوقوف على الأولى بالألف وعلى الثانيةبدونها لابن كثير وحده.

الخامسة : عدم تنوينهما معا والوقوف على الأولى بالألف وعلى الثانية بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص(١).

قبل الحديث عن صرف كلمة "قوارير" وعدمه نذكر أن في كلمة "قورايرا" الأولى إعرابين الأول: أن تعرب خبرا للفعل "كان" واسمها ضمير مستتر يعود على "أكواب والتقدير كانت الأكواب قواريرا. والإعراب الثاني أن

---

(١) النشر في القراءات العشر ج٢/٣٩٥

تجعل "كان" تامة والفاعل ضمير مستتر يعود على الأكواب و "قوارير" حال من الفاعل أي كونت فكانت قوارير وهذا الوجه ذكره العكبري(١)، أما "قوارير" الثانية فهي بدل من الكلمة الأولى.

فأما من منع صرف "قوارير" الأولى والثانية فذلك لأنهما على صيغة منتهى الجموع وهي (مفاعيل "وقد تقدم بيان السبب في منع صيغة منتهى الجموع من الصرف عند حديثنا عن كلمة "سلاسلا" في صفحة (١٥٤)، ومما جاء على وزن "مفاعيل" ممنوعا من الصرف قوله تعالى: (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين...)(٢) فمنعت "مصابيح" من الصرف لأنها على وزن "مفاعيل":

أما من صرف "قوارير" ففي صرفها عدة أوجه:

الوجه الأول : أن "قوارير" جمع كسائر الجموع قد جمعه بعض العرب فصار كالواحد فانصرف كما ينصرف الواحد، وبه قال مكي بن أبي طالب(٣).

الوجه الثاني: أن "قوارير" صرفت لأن بعض العرب يصرف مالا ينصرف.

الوجه الثالث: أن "قوارير" صرفت لكي يناسب أواخر الآية في السورة لأن أواخر الآي كالقوافي ، يعتبر

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ج٢/٢٧٦

(٢) الملك:٥

(٣) الكشف ج٢/٣٥٤

توافقها وتجانسها وإلى هذا الوجه ذهب ابن الحاجب(١) وجعل مثله قوله تعالى: (والفجر وليال عشر*والشفع والوتر* والليل إذا يسر*)(٢) حيث كسر "راء" يسر ليناسب بينها وبين الراء في رءوس الآي السابقة.

وهذه الأوجه الثلاثة تقدم الحديث عنها بالتفصيل عند الحديث عن صرف كلمة "سلاسل" في صفحة ١٥١-١٥٦ ولزيادة الإيضاح يحسن الرجوع إليها في الصفحات المشار إليها آنفا.

الوجه الرابع: أن يكون التنوين في "قوارير" الأولى بدلا من حرف الإطلاق. أما التنوين في "قوارير" الثانية فهو إتباع لتنوين الأولى، وهذا الوجه ذكره الزمخشري قال: (وهذا التنوين - يعني الذي في كلمة قوارير الأولى - بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصل وفي الثاني لإتباعه الأول)(٣) وسبق أن ذكرنا هذا الوجه عند توجيه صرف "سلاسل" وقد رددناه هناك لأن "سلاسل" لم تكن رأس آية، أما في "قوارير" فمحتمل لأنها رأس آية في فاصله، والفواصل في القرآن تشبه القوافي في الشعر وقد وردت بعض القوافي منونة مثل قول العجاج:

"من طللٍ كالأتحيم انهجن"

---

(١) الكافية في النحو ج١/٣٨-٣٩

(٢) سورة الفجر:١-٤

(٣) الكشاف ج٤/١٩٨

وكقوله: "ياصاح ماهاج الدموع الذرفن"

وقد تقدم الاستشهاد بهما في صفحة (١٥٨) أما من منع قوارير من الصرف ووقف عليها بالألف، وهم هشام وأبو عمرو وابن ذكوان وحفص فحجتهم في ذلك كلام العرب فقد حكى الرواسي والكسائي عن العرب الوقوف على مالا ينصرف بالألف(١) والسبب فى ذلك هو إظهار الفتحة.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ج٣/٥٧٨

الخاتمة

يعد تفشي اللحن على الألسن باعثا على تناول القرآن الكريم بالإعراب، الذي نضج بعد أن أصبح لعلم النحو أصوله وقواعده، وقد ألف في إعراب القرآن كثير من الكتب وأول من استخدم "إعراب القرآن" عنوانا لكتابه هو علي بن المستنير (ت٢٠٦هـ) المعروف بقطرب ثم أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) ثم توالى التأليف تحت هذا العنوان واختلفت مناهج المعربين في كتبهم فمنهم المكثر ومنهم المقتصد وهذه الكتب امتازت باختلاف التوجيه الإعرابي وتعدده، وأري أن من أسباب هذا الاختلاف تعدد المدارس النحوية التي ينتمي إليها المعرب، واختلاف لغات العرب ، واختلاف آراء النحاة الفردية.

ولما كان للقرآن قراءات متعددة ترتب عليها ظهور علم مستقل وهوعلم القراءات الذي قطع شوطا كبيرا في النمو والتطور ، وتعود بداية هذا العلم إلى زمن الرسول صلي الله عليه وسلم الذي كان يقريء أصحابه القرآن بأوجه مختلفة فأخذ الصحابة عليهم الرضوان يقرئون القرآن وأوجهه المختلفة غيرهم من المسلمين فكثرت في ذلك الرواية ووضعت لها المقاييس التي تحدد صحة القراءة وضبطت اهذه الأوجه عن طريق الكتابة فألفت الكتب التي تتناول أصول القراءة وفرش الحروف وتترجم لحياة القراء وأول من ألف في علم القراءات هو أبان ابن ثعلب (ت ١٤١هـ) وزيد بن قدامه الثقفي (ت ٢٦١هـ) والكسائي (ت ١٩٧هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وقد نبغ في الأمصار الإسلامية أئمة عرفوا بدقة الضبط والأداء والانقطاع لتلاوة القرآن

وكان لكل أمام قراءاته وأصله الذي التزمه في الإمالة والإدغام، وهاء الكناية، والمد، والقصر، والهمز، وغيرها من الأصول.

ولما كان لعلم القراءات صلة وثيقة بحديث الأحرف السبعة فقد تناول كثير من العلماء هذا الحديث بالتفسير فتباينت في ذلك آراؤهم تباينا كبيرا، وأري أن المقصود بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع فيها التغاير وهو ماذهب إليه ابن قتيبة ومكي ابن أبي طالب، وأبو الفضل الرازي، وابن الجزري.

وتعد القراءات القرآنية أحد الأدلة النقلية التي اعتمد عليها النحاة في استنباط قواعدهم غير أن بعضهم - وخاصة المتقدمين - رد بعض هذه القراءات ولم يعتد بها عند تقعيد القاعدة، وأري أن من أسباب رد بعض القراءات الحرية الفكرية التي كان يمتاز بها العصر العباسي هذه الحرية التي جعلت علماء العصر يعرضون كل شيء على العقل فما قبله العقل قبلوه وما رده العقل ردوه ولاسيما أن كثيرا من النحاة كان على المذهب المعتزلي الذي عرف بغلبة علم الكلام والمنطق على أتباعه. والسبب الثاني في رده هو أخذ النحاة بالقياس المنطقي الصوري فردوا به كثيرا من القراءات القرآنية بحجة أنها تخالف القياس. والصواب في ذلك أن تقبل القراءات التي خالفت القياس لصحة نقلها عن الرسول صلى الله عليه وسلم المعروف بالفصاحة والبلاغة، وأن يعاد النظر في القياس الذي خالفته لاسيما أن القراءات القرآنية جميعها لها وجه في العربية لايدفع وقد اشتغل بها عدد من العلماء توجيها وتبييناً، وألفت في ذلك الكتب المستقلة الإضافية إلي كتب إعراب القرآن وتفسيره التي اعتنى أصحابها بتوجيه القراءة كالنحاس في كتابه (إعراب القرآن) وكأبي حيان في تفسيره (البحر المحيط).

المصادر والمراجع

١ - الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢ - إبراز المعاني من حرز الأماني، عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر عام ١٣٤٩هـ.

٣ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد عبد الغني الدمياطي، تصحيح علي محمد الضباع، ملتزم الطبع والنشر عبد الغني أحمد حنفي.

٤ - الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:٤ عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٥ - أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، عفيف دمشقية.

٦ - أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سمير نجيب اللبيدي، دار الكتب الثقافية - الكويت - حولي ، ط:١ عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٧ - إعراب القرآن، النحاس، تحقيق زهير غازي زاهر، مطبعة العاني، بغداد، عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٨ - الاقتراح في علم أصول النحو، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، ط:١ عام ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٩ - الإقناع في القراءات السبع ، ابن الباذش، تحقيق عبد الحميد قطاش، المملكة العربية السعودية - جامعة أم القرى ط:(عام ١٤٠٣هـ).

١٠ - الأمالي الشجرية، ابن الشجري، الهند، دائرة المعارف العثمانية عام ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م.

١١ - إملاء مامنّ به الرحمن، أبو البقاء العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢ - إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٧١هـ-١٩٥٣م.

١٣ - الإنصاف في مسائل الخلاف، لكمال الدين أبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر.

١٤ - أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الخامسة عام ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

١٥ - الإيضاح في علم النحو، الزجّاجي، تحقيق مازن المبارك، مكتبة دار العروبة.

١٦ - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢ عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٧ - البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط:١ عام ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد بو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:١ عام ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

١٩ - البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري، تحقيق طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٤٠٠هـ.

٢٠ - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضي الزبيدي، القاهرة، المطبعة الخيرية، عام ١٣٠٦هـ.

٢١ - تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، عمر فروخ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٢ - تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت.ج، دي بوز، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط:٤ عام ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

٢٣ - تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، ط:٢ عام ١٣٩٣هـ-١٩٧٤م.

٢٤ - التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، تحقيق محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند ط:٢ عام ١٣٠٢-١٩٨٢م.

٢٥ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ابن الجزري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي وعبد الفتاح القاضي، دار الوعي، حلب، ط:١ عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٦ - تقريب النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:١ عام ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٢٧ - تقويم الفكر النحوي، علي ابو المكارم، دار الثقافة- بيروت.
٢٨ - تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق علي النجار، الدار لمصرية للتأليف والترجمة.

٢٩ - التيسير في القراءات السبع، أبو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح أوتوبرتزل - استانبول - مطبعة الدولة عام ١٩٣٠م.

٣٠ - جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار المعرفة - بيروت - لبنان - المطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٣١ - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرشبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة عام ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٣٢ - الجني الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٣ - حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٤ - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه - تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الثانية عام ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٣٥ - حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن زنجلة - تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٦ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت.

٣٧ - الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية.

٣٨ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، مخطوط، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض رقم ١٢٦

٣٩ - ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق حسن عباس، الكويت، عام ١٩٦٢م.

٤٠ - زبدة العرفان في وجوه القرآن، حامد عبد الفتاح البلوي.

٤١ - رسالة الملائكة، أبو العلاء المعري، تحقيق محمد سليم أفندي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٤٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،للألوسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.

٤٣ - سراج القاريء المبتديء وتذكار المقريء المنتهي، ابن القاصح البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٤ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، علق عليه عزة عبيد الدعاس، مطابع الفجر الحديثة، ط:١ عام ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٤٥ - سنن النسائي، أحمد بن علي النسائي، القاهرة، بيروت، دار التراث العربي، ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م.

٤٦ - الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، عام ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤٧ - شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي النحوي، تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٤٨ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر ط:١٥ عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٤٩ - شرح الكافية في النحو، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥٠ - شرح المعلقات السبع، للزوزني، مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م بيروت - لبنان.

٥١ - شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٥٢ - الشفاء - المنطق - القياس، ابن سينا، تحقيق سعيد زايد، المطبعة الأميرية - القاهرة عام ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٥٣ - صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود النواوي وزملائه، مطبعة الفجالة الجديدة عام ١٣٧٦هـ.

٥٤ - صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه.

٥٥ - ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبةا لنهضة المصرية - القاهرة، ط:٩ عام ١٩٧٨م.

٥٦ - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة.

٥٧ - طبقات المفسرين، الداوودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٥٨ - طبقات المفسرين، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد عامرو القاهرة - مكتبة وهبة عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٥٩ - طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وقف على طبعه ونشره محمد سامي أمين الخانجي - مصر، ط:١ عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م..

٦٠ - ظاهرة الإعراب في النحو العربي، أحمد سليمان ياقوت، عمادة شئون المكتبات - جامعة الرياض - الرياض، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٦١ - عصور الاحتجاج في النحو العربي، محمد إبراهيم عبادة، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٠م.

٦٢ - عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ابن أبي أُصيبعة، دار الفكر - بيروت عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

٦٣ - غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ، نشره برجشتراسر، مكتبة الخانجي، ط:١ عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

٦٤ - فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر والطباعة والنشر.

٦٥ - فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق محمد نجاتي جوهري، مخطوط في جامعة الإمام، الرياض، عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٦ - الفهرست، لابن النديم، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، عام ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.

٦٧ - في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط:٤ القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٨ - القـــاموس المحيـــط ، الفيروز آبادي،، طبعـــة بولاق ط:٣، عـــام ١٣٠١ه.
٦٩ - القـراءات الشاذة وتوجيهها من لغةا لعرب، عبد الفتـاح القاضي، دار الكتاب العربي،بيروت عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١
٧٠ - القـراءات القرآنية، عبد الهادي الفضلي، دار المجمـع العلمي، جدة عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧١ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العـال سالم مكرم، دار المعارف بمصر، عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
٧٢ - الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب - بيروت.
٧٣ - كتـاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيـف، الطبعة الثانية- دار المعارف، عام ١٤٠٠هـ.
٧٤ - كتـــاب المصـاحف،الحـافـظ أبو بكـر السجستـاني، تصحيـــح أثر جفـري، المطبعـة الرحمانية، مصر، ط:٢ عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
٧٥ - كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، خياط - بيروت.
٧٦ - الكشـاف عـن حقائق التنزيل وعيـون الأقـاويل في وجوه التـأويل،أبو القـاسم جارالله محمودالزمخشري،انتشارات أفتاب تهران
٧٧ - كشـف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنون، حاجي خليفـة، ط:٣ ، طهـران، المكتبة الإسلامية، عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٧م.
٧٨ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،أبومحمـدمكي بن أبي طالب القيســـي ،تحقيـــق محـــي الـدين رمضـــان ،مـؤسسةالرسالة بيروت ط:٢عـــام١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٧٩ - لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٠٠هـ.
٨٠ - لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، القاهرة، عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨١ - اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٨٢ - لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، عام ١٣٧٧هـ - ١٩٧م.
٨٣ - ماينصرف وما لاينصرف، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق هدى محمود قراعة - القاهرة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٨٤ - مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٩.
٨٥ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة ط:٧ عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٨٦ - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق فؤاد سزكين، دار الفكر - مكتبة الخانجي، ط:٢ عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٨٧ - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
٨٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الغرناطي، تحقيق أحمد صادق الملاح، القاهرة عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٩ - مختصر في شواذ القراءات، ابن خالويه، نشره ج. برجشتراسر،المطبعة الرحمانية مصر عا ١٩٣٤م.

٩٠ - المدارس النحوية، شوقي ضيف، دارالمعارف بمصر - ط:٢ عام ١٩٦٨م.

٩١ - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، مطبعة إدارة المعرفة، بغداد، عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

٩٢ - المدرسةالنحوية في مصر والشام ، عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ط:١ عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٣ - المذكر والمؤنث، أبو بكر الأنباري، تحقيق طارق عيد عون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، ط: عام ١٩٧٨م.

٩٤ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن المعروف بأبي شامة المقدس،تحقيق طيار آلتي فولاج - دار صابر - بيروت عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٥م.

٩٥ - المزهر في علوم اللغة وآدابها، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وزميله، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩٦ - مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، تحقيق ياسين محمد السواسي، دار المؤمون للتراث.

٩٧ - معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، تحقيق فايز فارس، المطبعة العصرية - الكويت عام ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

٩٨ - معاني القرآن ، أبو بكر يحي بن زياد الفراء، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة.

٩٩ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - صيدا.

١٠٠ - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، الطبعة الأخيرة، مكتبة عيسى الحلبي وشركاه.

١٠١ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام شمس الدين عبدالله الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط:١ دار الكتب الحديثة.

١٠٢ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي، دار الفكر - بيروت، ط:٥ عام ١٩٧٩م.

١٠٣ - مقاييس اللغة، أبو الحسين بن فارس زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة - ط:١ عام ١٣٢٩هـ..

١٠٤ - المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه، عالم الكتب - بيروت.

١٠٥ - مقدمتان في علوم القرآن ، ابن عطية ، تصحيح آرثر جفري، ط:٢ - القاهرة - مكتبة الخانجي عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٠٦ - مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف بمصر، عام ١٩٦٥م.

١٠٧ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، المطبعة الوطنية الإسلامية مصر عام ١٣٥٠هـ.

١٠٨ - المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضر، علي سامي النشار، منشأةالمعارف بالإسكندرية ط:٢، عام ١٩٦٣

١٠٩ - الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار القلم - القاهرة - عام ١٩١٥م.

١١٠ - موطأ الإمام مالك، تعليق أحمد راتب عرموش، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت لبنان - ط:١ عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

١١١ - النحو العربي نقد وبناء، إبراهيم السامرائي، دارالصادق ، بيروت ١٩٦٨م.

١١٢ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

١١٣ - النشر في القراءات العشر - ابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع - دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١١٤ - نكت الانتصار لنقل القرآن، الإمام أبو بكر الباقلاني، تحقيق محمد زغلول سلام، الناشر:منشأة المعارف بالإسكندرية.

١١٥ - همع الهوامع ، عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م.

فهرس محتوى البحث

المقدمة ٢

الباب الأول
كتب إعراب القرآن واختلاف توجيهه ٥
الفصل الأول : الكتب التي تعرضت لإعراب القرآن ٨
الفصل الثاني : أسباب اختلاف التوجيه الإعرابي ٢٣

الباب الثاني
القراءات وحديث الأحرف السبعة ٣٩
الفصل الأول : علم القراءات وتطوره ٤٠
الفصل الثاني : اختلاف الآراء في تفسير حديث الأحرف السبعة ٥٩

الباب الثالث
أصول قراءات القراء السبعة ٧٩

الباب الرابع
موقف النحويين من القراءات ١٠٣
الفصل الأول : ذكر القراءات التي ردها بعض النحويين ١٠٤
الفصل الثاني : أسباب رد القراءات ١١٥

الباب الخامس
توجيه بعض القراءات السبعية ١٢٦
أ - "أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا" ١٢٧
ب - "قال ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني" ١٢٩

قال يابن أم لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي"

ج - "كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم" ١٣٤

"وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا"

"وعاداً وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم"

"وثمودا فما أبقى"

د - كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفرووا ربهم ألا بعداً لثمود ١٣٩

هـ - "إذ قال يوسف لأبيه ياأبت ...." ١٤٠

"إذ قال لأبيه ياأبت"

"يا أبت إني قد جاءني من العلم"

"يا أبت لا تعبدالشيطان"

"يا أبت إني أخاف ....."

"قالت إحداهما ياأبت استأجره..."

"قال ياأبت افعل ماتؤمر..."

- "فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما" ١٤٦

"أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون".

"والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج"

ز - "إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى" ١٤٨

"إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى"

ح - وجئتك من سبأ بنبأ يقين" ١٥٠

"لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان"

طـ - "إن كنتم قوما مسرفين" ١٥٢

ي - "إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا" ١٥٤

ك - "ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا.

قوارير من فضة" ١٦١

الخـــــــاتمة ١٦٥

فهرس المصادر والمراجع ١٦٧

فهرس محتوى البحث ١٧٩